شواهد القراءات في المعاجم
معجم الأزهري أنموذجا

أ.د/خيرالدين سيب
جامعة تلمسان الجزائر

ملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فقد تعدّدت الدّراسات القرآنية، والبحوث اللّغوية، التي جعلت من نصوص آيات القرآن مرجعاً لها وأزهارا تقطف منها ثمارها وميزاناً تقيس به علامات تقدمها وازدهارها وشاهدا على مكانتها، وتنّوعت تبعاً لذلك الأساليب العلمية والمناهج اللّغوية التي سخّرت نفسها لخدمة هذا القرآن الكريم، فجاءت هذه الدراسات في بطون الكتب إما تفسيرا لموضوعاته أو شرحا لألفاظه أو تهذيبا وتبيينا لشواهد أحرفه وقراءاته القرآنية أو إفصاحا عما أُعجم من مكنوناته ودُرَرِه، أو استعماله شاهدا على صدق ما جاء به العلماء من مسائل لغوية وبلاغية... إضافة لما تحويه من إثراء للمعاني القرآنية الكريمة، وللدلالات اللغوية، وهذا أمر لم يغفله العلماء المتقدمون وحاولوا الإفادة منه في شتّى الميادين وعلماء اللغة والمعاجم استشهدوا بها للاستدلال على صحة المادة اللغوية التي حوتها معاجمهم، أو للتقعيد والتأصيل للظواهر اللغوية والنحوية والصرفية التي رووها في مصنفاتهم.

وسأحاول في هذا البحث المتواضع- إن شاء الله-أن أقف على "**شواهد القراءات القرآنية**" التي ذكرها "**الأزهري**" في معجمه متناولا دلالاتها ومعانيها، ومقارنا في الوقت نفسه بين المعنى اللغوي المذكور في المعجم، وبين المعنى التفسيري الذي ذكره المفسرون

أهداف البحث :

- الاطّلاع على طريقة الأزهري في التعامل مع الآيات القرآنية والقراءات.
- إظهار مواطن الشاهد القرآني في كتب التراث عامة، وفي المعاجم خاصة،
- دراسة شواهد القراءات القرآنية التي ذكرها الأزهري في معجمه،
- الوقوف على أثر بعض القراءات القرآنية في التفسير وفي اللغة والمعاجم.

المحور المختار : الشاهد القرآني في العلوم العربية والإسلامية.

خطة المداخلة.

المبحث الأول: تعريف الشواهد.

المطلب الأول: الشواهد في اللغة .

المطلب الثاني: الشواهد في الاصطلاح.

المبحث الثاني: أنواع الشواهد.

- شاهد القرآن الكريم وقراءاته. - القرآن الكريم ومنزلة الاستشهاد به.

- القراءات القرآنية والاستشهاد بها.- أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.

المبحث الثالث: منهج الأزهري في الاستشهاد بالآيات القرآنية والقراءات.

- المطلب الأول: المنهج العام في عرض القراءات.
- المطلب الثاني: إيراد معاني الشواهد وذكر دلالاتها. نماذج.

خاتمة

نص المداخلة

كان للعرب حفاوة بالغة بفن القول وطرق التعبير وأدائه، حتى يصل إلى قلب السامع أو القارئ ويؤثر فيه، ومن تلك الطرق استعمالهم الشواهدَ والمثال في كلامهم وحديثهم ومؤلفاتهم.

المبحث الأول: تعريف الشواهد.

لأتمكّن من الوقوف على دور الشاهد في الاستعمالات المعجمية عموما رأيت من الواجب أعرفه لغة واصطلاحا:

المطلب الأول: الشواهد في اللغة

لعلّ من المهم في تعريف الشاهد لغة أن نذكر مشتقات الكلمة وأصلها، ودلالاتها اللغوية والمعجمية.

المسألة الأولى: مشتقات لفظة الشواهد

الشواهد جمع شاهد، وهو اسم فاعل من الفعل الثلاثي شَهدَ، نقول رجل شاهِدٌ، وكذلك الأُنثى، والجمع أَشْهاد وشُهود، وصيغة المبالغة منه شهيد على وزن*فعيل* والجمع شُهَداء، ومصدره الشهادة؛ يقال شَهدَ يشْهَدُ شَهَادَة، واستشهد استشهادا على وزن استفعل، وشَهِدَ الرجلُ على كذا، على وزن عَلِمَ وكَرُمَ، وربما قالوا: شَهْدَ الرجلُ، بسكون الهاء مع فتح الشين، وكسرها أيضا مع سكون الهاء شِهْدَ، ووردت شِهِدَ بكسرتين[1].

[1]- ينظر: لسان العرب - ابن المنظور- ج: ٧- ص: ٢٢٢. و القاموس المحيط- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- - لبنان - بيروت — مؤسسة الرسالة— د.ط- د.ت -ج: ١ ص: ٣٧٣. و تاج العروس من جواهر القاموس- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي- لبنان - بيروت— دار صادر- ط:١- ١٣٠٦هـ١٨٨٥م -ج:٢- ص:٣٩١.

وبعض القبائل من اليمن تكسِر صَدْر كلِّ فعلٍ يجيء على بناء عَمِل، فيقولون شِهِد وسِعِد، ويقرءون:(**وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا**)[٢] (**شِهدنا**) بكسر الشين[٣].

المسألة الثانية: الأصل اللغوي للكلمة.

تدور مادة(ش.هـ.د) في لسان العرب حول الحضور والعلم والإعلام؛ يقول أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة: " الشين والهاء والدال أصلٌ يدلُّ على حضور وعلم وإعلام"[٤].

المسألة الثالثة: الدلالات المعجمية.

للفظة " الشاهد" في كلام العرب معان كثيرة على حسب موقعها من السياق، وعلي حسب استعمالاتها أذكر منها:

١- الإقرار والاعتراف:

شَهِدَ الشاهِدُ عند الحاكم أَي أقر بما يعلم و اعترف[٥]، يشهد على ذلك قوله تعالى:

(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ)[٦].

أي مقرين على أنفسهم بالكفر؛ وذلك أَنهم يؤمنون بأَنبياء بشّروا بمحمد وحَثُّوا على إتباعه، ثم خالَفوهم فَكَذَّبُوه، فبينوا بذلك الكفر على أَنفسهم وإن لم يقولوا نحن كفار[٧].

٢- الشهادة بمعنى الحكم: كما قال الله في سورة يوسف:

(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا)[٨]

---

[٢]- سورة يوسف- من الآية:٨١.

[٣]- ينظر: العين-الخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي- لبنان - بيروت – مؤسسة الإعلامي للمطبوعات - ط: ١- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م - ج: ٧ - ص:٣١٧.

[٤]- معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس- تحقيق و ضبط: عبد السَّلام محمد هَارُون – لبنان- بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ط: ١ – ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م - ج:٣ - ص: ٢٢١

[٥] - تهذيب اللغة- - الأزهري- ج: ٦ - ص:٧٣. و ينظر: - لسان العرب -ابن المنظور - ج:٧ - ص:٢٢٤.

[٦]- سورة - التوبة: ١٧

[٧] - ينظر: لسان العرب- ابن المنظور- ج: ٧- ص: ٢٢٣. وجامع البيان في تأويل القرآن- محمد بن جرير الطبري- تحقيق: أحمد محمد شاكر- لبنان - بيروت – مؤسسة الرسالة– ط:١- ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م- ج: ١٤ - ص:١٦٥. والجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله محمد القرطبي- لبنان - بيروت – دار إحياء التراث العربي– ط:١- ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م ج: ٨ - ص: ٨٩.

قال القرطبي- رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب فشهد شاهد من أهلها أي حكم حاكم من أهلها؛ لأنه حكم منه وليس بشهادة"[٩]

٣- الحضور ضد الغياب:

شَهِدَ الأَمَر والمِصْرَ شَهادَةً، فهو شاهدٌ أي حاضر، خلاف الغائب والجمع شُهَداء وشُهَّدٌ وأَشْهادٌ وشُهودٌ[١٠]، ومنه قول الله تعالى:

(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه) [١١]

معناه من شَهِدِ منكم المِصْرَ في الشهر؛ أَي كان حاضراً غير غائب في سفره يصوم لا محالة[١٢].

ومنه قول الشاعر:

كأَني، وإِن كانَتْ شهوداً عَشِيرَتي * إِذا غِبْتَ عَنّي يا كُثَيِّرُ، غَرِيبُ**

أَي إِذا غِبْتِ عني فإِني لا أُكلِّم عشيرتي ولا آنَسُ بهم كأَني غريب عنهم[١٣].

ومن هذا المعنى الشهيد وهو القتيل في سبيل الله سُمّيَ كذلك لأن ملائكة الرحمة تشهده أي تحضره.

٤- الشاهد بمعنى المراقب للحدث:

نقول شَهِد له بكذا شَهادةً، أي أدَّى ما عنده من الشهادة، و بيّن ما يعلمه وأَظهره، وأعلَمَ لمن الحقُّ وعلى مَنْ هو[١٤]؛ كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

« **شاهداك أو يمينه** »[١٥] ؛ أي لك من يشهد لك ويبين أمرك ويظهر صدق ما أتيت به مع خصمك[١٦].

٨- سورة يوسف- من الآية :٢٦.

٩- الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ج : ٩ - ص: ١٧٢.

١٠ - لسان العرب- ابن منظور —ج:٧ - ص:٢٢٤.

١١- سورة البقرة- من الآية: ١٨٥.

١٢- ينظر: تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- تحقيق: حسان الجبالي- المملكة العربية السعودية- الرياض- بيت الأفكار الدولية — ط:١-١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م - ص: ١٨٨.

١٣- لسان العرب- ابن المنظور- ج:٧ - ص:٢٢٤.

١٤- لسان العرب- ابن المنظور- ج:٧ - ص:٢٢٣.

ويشهد لذلك قول جميل بن معمر[١٧]:

فسل هذي متى تقضي ديوني *** وهل يقضيك ذو العلل المطول

فَقالَ أَميرُنا هاتوا شُهوداً *** فَقُلتُ شَهيدُنا المَلِكُ الجَليلُ

٥- الشاهد الدليل والبرهان: والجمع شواهد،ومنه قول محمود الورّاق[١٨]:

إنّ العُيون على القُلوب شَواهدٌ ❀ فبغيضُها لكَ بَينٌ وحبيبُها

وإذا تَلاحظت العُيون تَفاوضت ❀ وتحدثت عما تجن قلوبها

يَنْطِقنَ والأفْواهُ صامِتةٌ فما ❀ يَخْفى عليك بَريئُهَا ومُريبها

أي أن العيون تبين وتبرهن على حبها أو بغضها للآخرين بعلامات يعرفها الناظر إليها.

وقول المتنبي[١٩]:

وَحيدٌ مِنَ الخُلّانِ في كُلِّ بَلدَةٍ *** إذا عَظُمَ المَطلوبُ قَلَّ المُساعِدُ

وَتُسعِدُني في غَمرَةٍ بَعدَ غَمرَةٍ *** سَبوحٌ لَها مِنها عَليها شَواهِدُ

---

[١٥]- صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق : مصطفى ديب البغا- لبنان - بيروت — دار ابن كثير— ط:٣- ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م - ج: ٢ - ص: ٩٥٠ . صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج النيسابوري- لبنان - بيروت — دار الكتب العلمية- د.ط: د.ت- ج: ٢ - ص: ١٣١. وينظر: فتح الباري - أحمد أبو الفضل ابن حجر العسقلاني- تحقيق: محب الدين الخطيب - لبنان - بيروت — دار المعرفة- د. ط- د ت- ج: 5 - ص:281.

١٦-ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي —لبنان - بيروت — دار إحياء التراث العربي - ط:٢- ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م - ج: ٢ - ص: ١٦٠.

١٧- الديوان- جميل بن عبد الله بن معمر- لبنان- بيروت- دار صادر- د.ط- د.ت- ص: ٨٤. وينظر: الأمالي في لغة العرب- أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي- لبنان - بيروت — دار الكتب العلمية- ط:١- ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م-ج: ٢ - ص: ٨٤.

[١٨]- ينظر: العقد الفريد- ابن عبد ربه الأندلسي- تحقيق : مفيد محمد قميحة- لبنان - بيروت — دار الكتب العلمية- ط:١- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م- ج: ٢- ص: ٢٠٤.

١٩- يقول المتنبي تعيني على توارد الغمرات في الحروب سبوح، وهي الفرس كأنها تسبح في جريها، يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها. ينظر: شرح ديوان المتنبي- عبد الرحمن البرقوقي- لبنان- بيروت— دار الكتاب العربي- ط:٢- ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م-ج:١- ص: ٣٩٣.

٦- الشاهد بمعنى اللِّسان أو المَلَك: وقد جمعهما الأعشى في بيت واحد، فقال[٢٠]:

فلا تحسِبَنّي كافراً لك نعمةً * عَلَى شاهِدِي يا شاهِدَ اللهِ فاشْهَدِ**

فشاهده: اللسان: وشاهد الله جلَّ ثناؤه، هو المَلَك[٢١].

وفي المثل:" **ما له رواء ولا شاهد**"؛ الرواء: المنظر، والشاهد: اللسان. أي ما له منظر ولا منطق[٢٢].

٧- الشاهد الماء الذي يخرج على رأس الصبيّ إذا وُلد كأنه مخاط[٢٣]، كما قال الشاعر حميد بن ثور الهلالي:

فجاءَت بمثل السَّابِرِيِّ تَعجَّبُوا * لهُ والثَّرَى ما جفَّ عنه شُهودها**[٢٤]

٨- الشاهد العالم بالحق، ومنه قوله تعالى:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ)[٢٥] أي وأنتم تعلمون أنه الحق[٢٦].

٩- وصلاة الشاهد هي صلاة الفجر أو صلاة المغرب لأن المسافر يصليهما كالشاهد لا يقصر منهما[٢٧]، فيستوي فيهما المقيم والمسافر.

٢٠- ديوان الأعشى- الأعشى- ص: ١٣٣.و الشعر والشعراء- ابن قتيبة الدينوري- تحقيق : أحمد محمد شاكر- مصر - القاهرة – دار المعارف- ط:٢- ١٣٧٧ هـ/ ١٩٨٨م- ج:١- ص: ٢٦٦.

٢١- لسان العرب- ابن المنظور - ج:٣ - ص: ٢٣٨.

٢٢- مجمع الأمثال- أبو الفضل بن محمد الميداني- تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد- لبنان - بيروت – دار المعرفة- د.ط- د.ت - ج:٢ - ص:٢٧٤.

٢٣- العين- الخليل بن أحمد- ج:٣ - ص: ٣٩٨.

٢٤ - ينظر: لسان العرب- ابن المنظور- ج:٧ - ص:٢٢٦. و جمهرة اللغة - ابن دريد - تحقيق : رمزي منير بعلبكي- لبنان - بيروت – دار العلم للملايين- ط:١- ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧م- ج: ٢ - ص: ٦٥٣.

٢٥- سورة آل عمران - الآية: ٧٠.

٢٦- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج:٢ ص: ٥٩. و تفسير الجلالين- السيوطي - مصر- القاهرة- دار الحديث- ط:١ - د.ت - ج:٢ - ص: ٧٦.

٢٧- لسان العرب-ابن منظور- ج: ٣ - ص: ٢٤٣.

١٠- وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)**[٢٨] أن لِـ: شهد في القرآن الكريم عدة معاني غير التي ذكرناها؛ مثل: وصّى وحلف وقضى[٢٩].

١١- وفُسّر الشاهد في قوله تعالى: **(وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)**[٣٠] بعدة معاني، منها: الله عزّ وجلّ، والرسول صلى الله عليه وسلم، والإنسان، ويوم الجمعة، ويوم الأضحى، ويوم القيامة[٣١]...

نخلص إلى أن معاني الشاهد ارتكزت أساسا في الإخبار والإعلام، والحضور، والعلم والحكم، والاعتراف، والبرهان، أضف إلى ذلك بعض الاستعمالات التي وّظفها العربي في كلامه؛ كاللسان والماء الذي يخرج على رأس الصبي إذا ولد، وبعض الدلالات الإسلامية التي فسّر بها النبي صلى الله عليه وسلم بعض ألفاظ القرآن الكريم كصلاة المغرب ويوم الجمعة ويوم عرفة وغيرها.

المطلب الثاني: الشواهد في الاصطلاح

تعدّدت التعاريف الاصطلاحية للشاهد وذلك على حسب العلم التي ينتمي إليه هذا المصطلح، وعلى حسب اختصاص كل فريق؛ فإن لأهل الحديث تعريفا يختلف عن تعريف اللغويين، أو البلاغيين، أو الفقهاء.

وقد أحصيت أربع تعريفات اصطلاحية للشاهد؛ تمثلت في علوم الحديث والفقه والتصّوف واللغة.

المسألة الأولى : الشواهد في اصطلاح المحدّثين.

٢٨- سورة المائدة من الآية: ١٠٦.

٢٩- ينظر: الجامع لأحكام القرآن-: القرطبي- ج: ٦ - ص:٣٤٧

٣٠- سورة البروج- الآية: ٣

٣١- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن-ابن جرير الطبري- ج ٢٤ - ص:٣٣٧. وتفسير القرآن العظيم- ابن كثير- ج: ٨ - ص:٣٦٤.و أضواء البيان - محمد الأمين بن المختار الشنقيطي- بيروت- لبنان- دار الفكر للطباعة والنشر- ط:١- ١٤١٥هـ /١٩٩٥م- ج: ٨- ص ٤٧٧. تهذيب اللغة- الأزهري- ج ٦- ص :٤٩. مختار الصحاح- محمد الرازي- لبنان - بيروت- دائرة المعارف في مكتبة لبنان- د.ط- ١٩٨٥م - ص:١٤٧. زاد المعاد في هدي خير العباد- ابن القيم الجوزية- تحقيق : محمد حامد الفقي- بيروت - لبنان- دار الكتاب العربي-د.ط- ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م - ج: ٢ - ص ١٢٩ .

يعّرف أهل الحديث الشاهد بأنه:" الحديث الذي يُروى عن صحابي مشابها لما روي عن صحابي آخر في اللفظ أو المعنى"[٣٢]

فالشاهد عند المحدّثين هو ذلك الحديث الذي يشارك فيه رواته رواة الحديث الفرد[٣٣] لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، مع الاختلاف في الصحابي؛ فإذا اختلف الصحابي في الحديث يسميه العلماء شاهدًا، وإذا كان الحديث مرويًّا عن أبي هريرة وابن عمر مثلا نستطيع أن نقول إن حديث ابن عمر شاهد لحديث أبي هريرة، والعكس كذلك[٣٤].

والغرض من البحث عن شواهد الحديث الشريف ومتابعاته هو معرفة حالته إن كان فردا أو معروفا أم لا، لتعضيد الحديث الأول، يقول الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح في مقدمته عند ذكره الشواهد والمتابعات :" هذه أمور يتداولونها في نظرهم في حال الحديث، هل تفرد به راويه أولا؟ وهل هو معروف أولا"[٣٥].

فالقضية هنا قضية تقوية للحديث، يعني نحن حينما نبحث هذا الموضوع أو نتكلم في هذه القضية نحن نريد أن نعرف كيف يمكن أن يتقوى الحديث الفرد الذي لم يرد إلا من طريقٍ واحد، لا يُتقوى إلا بالطرق الأخرى.

وقد يطلق الشاهد على مصطلح المتابع[٣٦].

مثال الشاهد في اصطلاح المحدّثين:

---

[٣٢]- الوجيز في علوم الحديث ونصوصه- محمد عجل - الجزائر- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- د.ط - ١٩٨٩م- ص: ٣٤٠.

وينظر: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- أبو عمر عثمان بن الصلاح –تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي- لبنان – بيروت- المكتبة العصرية - ط:١- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م - ص :٢٧/٢٦، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث- الحافظ ابن كثير- شرح وتعليق: أحمد محمد شاكر- لبنان – بيروت- دار الكتاب العربي - د.ط- د.ت- ص: ٥٦.

٣٣- الحديث الفرد هو الحديث الذي لم يرد إلا من طريقٍ واحد، فيقولون مثلا تفرد به أبو هريرة، ينظر: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- أبو عمر عثمان بن الصلاح—ص: ٥٠.

٣٤- الوجيز في علوم الحديث ونصوصه-. محمد عجل- ص: ٣٤٠

٣٥- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- أبو عمر عثمان بن الصلاح —ص: ٥٠.

٣٦- المتابع هو الحديث الذي يُتابع فيه راوٍ تفرد بحديثٍ آخر، ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النووي-جلال الدين السيوطي- تحقيق وتعليق: أحمد عمر هاشم- لبنان— بيروت- دار الكتاب العربي— د. ط- ١٤١٩هـ/١٩٩٩م- ص: ٢٠٣/٢٠٢.

روى الترمذي في سننه عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

« مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ»[٣٧]

فلهذا الحديث شاهد من حديث أبي سعيد الخد ري – رضي الله عنه – في الصحيحين عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:

« اَلْغسْلُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كلِ ُ مْحتَلِمٍ»[٣٨]

فالترمذي – رحمه الله – روى الحديث الأول في موضوع غسل الجمعة عن الصحابي سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما ، بينما البخاري ومسلم – رحمهما الله – رويا الحديث الثاني بالمعنى نفسه الموجود في الحديث الأول، ولكن عن صحابي آخر وهو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه؛ فنقول: الحديث الثاني شاهد للحديث الأول، أو هو متابع على حسب قول الحافظ بن حجر السابق.

الشاهد عند المحدثّين له علاقة وطيدة بالشاهد عند أهل اللغة، وذلك في الهدف والغاية؛ فالهدف من الحديث الشاهد هو تأكيد حديث آخر وتعضيده كيلا يبقى فيه لبس أو شك في وروده، وكذلك من أهداف الشاهد في اللغة تعضيد اللفظة أو الكلمة أو الصيغة وجعلها في مصاف الاستشهاد.

المسألة الثانية: الشواهد في اصطلاح الفقهاء.

يعرّف أهل الفقه الشاهد بأنه الشخص المخبِر بحق على غيره، بشروط، عن مشاهدة وعيان لا عن تخمين وحسبان بلفظ أشهد أو شهدتُ[٣٩].

والشاهد في اصطلاحهم هو حامل الشهادة ومؤديها؛ لأنه شاهد لما غاب عن غيره[٤٠].

والشهادة عندهم هي إخبار الشخص عما يكون قد أدركه بإحدى حواسه، أوهي إخبار صدق لإثبات جف بلفظ الشهادة في مجلس القضاء[٤١].

٣٧- سنن الترمذي – الترمذي –ج: ٢ – ص: ٥٩٢

٣٨- صحيح البخاري- البخاري –ج: ١ ص: ٢٩٣. و مسلم – صحيح مسلم- ج: ٦ – ص: ١١٠

[٣٩] – معجم لغة الفقهاء- محمد دواسَ قْلعَرْجي. وحامد صادق قَنبيجي- لبنان- بيروت- دار النفائس– ط:١- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م- ص: ٢٥٦.

٤٠- ينظر: فقه السنة – سيد سابق- لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والشر والتوزيع – ط:١- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م- ج: ١ ص: ٣٥

ويختلف عدد الشهود من حدّ إلى آخر؛ فلا يقبل مثلا في الزنا إلا شهادة أربعة من الرجال، وباقي الحدود والقصاص شهادة رجلين، وما سواهما من الحقوق تقبل فيها شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، ويقبل في الولادة شهادة رجل واحد[٤٢].

فالشاهد عند الفقهاء لا يخرج عن نطاق التعريف اللغوي له؛ وهو ذلك الشخص الذي يدلي بشهادته لإحقاق حق أو إظهار أمر، أو الإتيان به لحضور عقد من العقود كالنكاح والطلاق والعتق والوكالة والوصاية وغيرها، أو حدّ من الحدود كالسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر...

والملاحظ في كتب الفقه التي اطلعت عليها أن بعضا منها لم يعرّف أصحابُها الشاهدَ وإنما ذُكرت الشروطُ التي من خلالها تُقبل شهادتُه كالإسلام والحرية و العدالة والحرية، وكذا صيغة هذه الشهادة وألفاظها[٤٣].

المسألة الثالثة: الشواهد في اصطلاح الصوفية.

الشاهد في اصطلاح الصوفية هو ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشَاهد وهو على حقيقة ما يضبطه القلب من صورة المشهود[٤٤]. وهو عبارة عما كان حاضرا في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، يقول الجرجاني في التعريفات هو:" عبارة عما كان حاضراً في قلب الإنسان، وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الحق، فهو شاهد الحق"[٤٥].

٤١- أحكام تشريعات الحدود - محمد سامي النبراوي - مصر - القاهرة- دار غريب للطباعة- ط:١ - ١٩٧٦م - ص: ٨٧.

٤٢- ينظر: مختصر العلامة خليل- خليل بن إسحاق المالكي- تصحيح وتعليق: أحمد نصر- الجزائر - دار الشهاب- د.ط- د.ت- ص: ٦٧. وكتاب الفقه على المذاهب الأربعة- عبد الرحمن الجزيري- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية - ط:٢ - ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م- ج: ٤ ص: ٧١٩/١٠٠٢/١٢٢٠.

٤٣- ينظر: بلوغ المرام من أدلة الأحكام - العسقلاني- تحقيق: محمد رضوان محمد- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- د.ط- د ت- ص: ٢٥٩. ومختصر العلامة خليل- خليل بن إسحاق المالكي- ص: ١٥٨. و أحكام تشريعات الحدود- محمد سامي النبراوي - ص: ٩٠/١٠٠.

٤٤- المعجم الصوفي، دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي-محمود عبد الرزاق -المملكة العربية السعودية- جدة- دار ماجد عسيري- ط: ١- ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. وينظر: معجم الكلمات الصوفية- أحمد النقشبندي الخالدي- تحقيق: أديب نصر الدين- لبنان- بيروت- مؤسسة الانتشار العربي- ط:١- ١٤١٨هـ/١٩٩٧م- ص: ٤٥.

٤٥- التعريفات- الجرجاني -تحقيق : إبراهيم الأبياري - لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:١ - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م- ص: ١٦٤.

ويقول محمد عبد الرؤوف المناوي صاحب كتاب التوقيف على مهمات التعاريف:" الشاهد عند أهل الحق ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد وهو على الحقيقة ما يضبط القلب من صورة المشهود"[٤٦]

فالشاهد عند هؤلاء القوم ما يكون حاضر قلب الإنسان يفكر فيه؛ فكل ما يستولي ذكره على قلب صاحبه فهو يشاهده؛ فان كان الغالب عليه العلم فهو يشاهد العلم وإن كان الغالب عليه الحق أو الوجد فهو الحق أو الوجد؛ فكل ما هو حاضر في القلب من تفكير أو تخمين أو استشعار فهو الشاهد[٤٧].

وبعض الأحيان لا تكون المشاهدة عند هؤلاء القوم بالقلب فقط بل تتعدى ذلك إلى الرؤية الحسية بالعين، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية" ... وكثير من هؤلاء العباد الذي يشهد قلبه الصورة المثالية ويفنى فيما شهده، يظن أنه رأى اللّه بعينه؛ لأنه لما استولى على قلبه سلطان الشهود لم يبق له عقل يميز به، والمشاهد للأمور هو القلب، لكن تارة شاهدها بواسطة الحس الظاهر، وتارة بنفسه، فلا يبقى أيضًا يميز بين الشهودَين، فإن غاب عن الفرق بين الشهودين ظن أنه رآه بعينه، وإن غاب عن الفرق بين الشاهد والمشهود ظن أنه هو"[٤٨].

يشرح ابن تيمية– رحمه الله– منزلة من منازل الشهود عند بعض الصوفية؛ وهي الرؤية الحقيقية لله لمن شاهده حتى ظن أنه رآه عيانا،فإذا شاهد ربه بنفسه ظن نفسه هو، وهذا ما يسمى بالفناء أي فناء العبد في ربه، يقول ابن القيم الجوزية:" وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب به ويفنى به فيظن أنه اتحد به وامتزج بل يظن أنه هو نفسه كما يحكى أن رجلا ألقى محبوبه نفسه في الماء فألقى المحب نفسه وراءه فقال له ما الذي أوقعك في الماء فقال غبت بك عني فظننت أنك أني"[٤٩] وتعد

٤٦– التوقيف على مهمات التعاريف محمد عبد الرؤوف المناوي – – تحقيق : محمد رضوان الداية – لبنان– بيروت– دار الفكر المعاصر– ط:١– ١٤١٠هـ/١٩٩٠م – ص: ٤٢٢.

٤٧– ينظر : ياء علو الدين– أبو حامد الغزالي– إح– لبنان – بيروت– دار الفكر– ط:١– ١٤١٥هـ/١٩٩٥م– ج: ٢– ص: ٣٠٩

٤٨– مجموعة الفتاوى الكبرى– ابن تيمية– مع: عبد الرحمن بن قاسم– سوريا– مطبعة الرسالة–ط١– ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م– ج: ٥– ص: ١٩٤

٤٩– مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ابن القيم الجوزية –تحقيق : محمد حامد الفقي – دار الكتاب العربي – بيروت– لبنان – د.ط–د.ت–ج :١ – ص: ١٥٥

الشهادة عند هؤلاء القوم مرتبة من مراتب القرب إلى الله عز وجل ومنزلة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين[٥٠].

مثال الشاهد عند الصوفية:

ذكر أبو حامد الغزالي أنه كان أبو الحسين النوري رجلاً قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه، فنزل ذات يوم إلى مشرعة يتطهر للصلاة إذ رأى زورقاً فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها" لطف" فقرأه وأنكره لأنه لم يعلم في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه بلطف. فلما سأل عمّا بداخل الدنان، أجيب بأنه خمر للمعتضد يريد أن يعم به مجلسه. فقام النوري وصعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دناً دناً حتى أتى على آخرها إلا دناً واحداً، والملاح يستغيث. إلى أن ركب صاحب الجسر وقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد–وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله– قال أبو الحسين: فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال: من أنت؟ قلت: محتسب، قال: ومن ولاك الحسبة؟ قلت:" الذي ولاك الإمامة ولاّني الحسبة يا أمير المؤمنين". قال: فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال:" ما الذي حملك على ما صنعت"؟ فقلت: شفقة مني عليك يا أمير المؤمنين.

قال: فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه إليّ وقال:" كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان"؟ فقلت:" في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن"، فقال: هات خبرني. فقلت:" يا أمير المؤمنين إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن،فاستشعرت نفسي كبراً على أني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال"، فقال المعتضد: اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر[٥١].

فالسبب الذي أدّى بهذا الرجل أن يترك دنّا واحدا سالما دون كسر هو شاهد الإجلال الذي جعله يتذكر المطالبة بالدليل على ما فعل من تكسير.

---

[٥٠] – ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ابن القيم الجوزية –ج :١– ص: ١٤٨.

[٥١]– إحياء علوم الدين– أبو حامد الغزالي – ج:٢ – ص: ٣٥٦.

ولعلّ العلاقة بين الشاهد عند الصوفية والشاهد اللغوي تكمن في حقيقة المشاهدة وحقيقة الرؤية إلى الشواهد؛ فإذا كان الصوفي يشاهد أمورا في قلبه كأنه يراها عيانا بمنطلق القرب إلى الله تعالى، فإن اللغوي يجعل من الشاهد طريقا على تأكيد ما يذهب إليه من صحة القواعد اللغوية والصرفية وغيرها،فكأنها ظاهرة لقارئها، ويأخذ قاعته صحيحة كأنه رآها بأمّ عينه.

المسألة الرابعة: الشواهد في اصطلاح اللغويين

وهو الأصل في دراستنا هاته، فالشاهد في اصطلاح علماء اللغة ما يستشهد به في إثبات قاعدة من القواعد النحوية أو الصرفية أو البلاغية، كما أن الشاهد في العبارة هو محط الغرض من ذكرها. وهي نوعان:

١- الاستشهاد في اللغة: ويكون بعرض قضية لغوية أو نحوية، وإثباتها بسوْق دليل من القرآن أو الحديث، أو الشعر.

٢- الاستشهاد في الأدب: ويكون بسوْق دليل نثري أو شعري لإقامة الدليل على قضية أدبية تعالجها، ولا يشترطون بها زمانا، كمن يستشهد بشعر الطيف من البحتري، أو الصنعة من أبي تمام، أو الفلسفة من المعري.

إلا أنّ الاستشهاد أوسع مدى من هذين النوعين، فيمكن أن يوظّف للاحتجاج لقضية فكرية، أو دينية، أو سياسية، أو تاريخية، وغير ذلك من الأفكار والمعاني.

فعندما وضع النحاة الأوائل مجموعة من القواعد للغة العربية ارتكزوا على عدة دلائل، سميت هذه الدلائل بالشواهد وتضم هذه الشواهد القرآن الكريم والكلام العربي القديم قبل الإسلام وبعده على النحو الذي سنبين عندما ظهر اللحن في اللغة. فجميع القواعد المكتوبة هنا لديها شواهد ندل على صحتها.

وقد أورد أبو هلال العسكري في كتابه " الصناعتين" فصلا سماه "الاستشهاد والاحتجاج" في سياق حديثه عن الشواهد الشعرية، فقال:" وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما

يتعاط من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحتها"[٥٢].

يذكر أبو هلال العسكري أن الاستشهاد بالشعر خاصة وبغيره عامة قد كثر في كلام العلماء القدامى والمحدثين، والغرض منه توليد المعنى، والشاهد عنده أن تأتي بمعنى من المعاني ثم تعقبه بمعنى آخر يؤكد الأول ويوضحه ويكون دليلا على صدقه وصحته.

ويعرف الجاحظ الشاهد بذكر أنواعه بقوله: :"... ولم نذكر، بحمد اللّه تعالى، شيئاً من هذه الغرائب، وطريفة من هذه الطرائف إلا ومعها شاهد من كتاب مُنْزِلٍ، أو حديثٍ مأثور، أو خبرٍ مستفيض، أو شعرٍ معروف، أو مثل مضروب"[٥٣].

فالجاحظ هنا لم يعط حدّا للشاهد أو تعريفا له وإنما اكتفى بذكر أنواعه وهي القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب من شعر ومثل.

ويورد أبو هلال العسكري في كتابه جمهرة الأمثال بعضا من مقاصد الشواهد في المقدمة دون تعريفها بقوله:" ثم إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما ويكسبه قبولا ويجعل له قدرا في النفوس وحلاوة في الصدور ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة والاستظهار به أوان المجاولة في ميادين المجادلة والمصاولة في حلبات المقاولة وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد والتنوير في الروض والتسهيم في البرد فينبغي أن يستكثر من أنواعه لأن الإقلال منها كاسمه إقلال،والتقصير في التماسه قصور"[٥٤].

لم يعرف لنا أبو هلال العسكري الشاهد وإنما بيّن أهميته في الكلام، وحثّ على الإكثار منه في صنوف الكلام والحديث والخطاب.

والشواهد تعّرف على حسب أصلها ومنبعها؛ فإذا كان الشاهد قرآنا، نقول الشاهد القرآني وهكذا مع القراءات القرآنية والحديث النبوي والشعر والمثل.

---

[٥٢] – الصناعتين–أبو هلال العسكري –تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم– لبنان – بيروت– المكتبة العصرية – ط:١– ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م –ج :١ – ص: ٤١٦.

٥٣– كتاب الحيوان– الجاحظ –تحقيق: عبد السلام محمد هارون– مصر – مكتبة ومطبعة مصطفى اليابي الحلبي وأولاده– ط:٢– ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م –ج :٦ – ص: ٥١٦.

[٥٤]– جمهرة الأمثال– أبو هلال العسكري– لبنان – بيروت– دار الفكر – ط:١– ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م – ص: ٤.

فعلى هذا الأساس نستطيع تعريف الشواهد بأنها تلك الآيات القرآنية أو قراءاته أو الأحاديث النبوية أو كلام العرب الفصحاء، التي يستعملها العلماء في التأصيل لقاعدة ما أو لتأكيد معنى من المعاني.أو لتوضيح فكرة ما.

كما أن الشواهد تُعرّف كذلك على حسب الغرض من ذكرها في باب الاستدلال بها، أو على حسب القضية التي من أجلها سيقت هذه الشواهد؛ فنقول مثلا الشواهد **النحوية** أو **الصرفية** أو **البلاغية**؛ فالشواهد النحوية ما يؤتى به من قرآن وشعر ونثر للاستدلال به في قضية نحوية، كرفع الفاعل ونصب المفعول،وكالتقديم والتأخير، وغيرها من القضايا النحوية وكذا الشواهد الصرفية في المسائل الصرفية من اشتقاقات.

واقتصرنا في دراستنا عن شاهد القراءات القرآنية؛ وهو تلك الأوجه من قراءات القرآن الكريم الذي أتى بها أبو منصور الأزهري في معجمه ليؤكد بها ما ذهب إليه من استعمالات لغوية، أو ليدلل بها على صدق المادة المعجمية التي أتى بها أو ليبّين الدلالات الجديدة التي أتت بها هذه القراءات.

المبحث الثاني: أنواع الشواهد

قلت سابقا في تعريف الشواهد أنها تعّرف على حسب أصلها ومنبعها؛ وهذا الأصل يكون إما كلام الله تعالى، أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم، أو كلام البشر شعرا نثرا قيل في عصر الاحتجاج.

وذكرت أن الجاحظ تحدث عن أنواع الشواهد في كتابه الحيوان عند حديثه عن الشاهد، وسأورد هذه الأنواع – بعون الله – مرتبة على **حسب قدسيتها** بدءا من القرآن الكريم وانتهاء بالمثل، وعلى حسب ما ذكر الجاحظ من ترتيب عند تطّرقه لمنهج كتابه السابق – الحيوان– يقول:" فإن مَلِلْتَ الكتابَ واستَثْقَلْتَ القراءة، فأنت حينئذ أعذَرُ، ولحظِّ نفسك أبْخَسُ، وما عندي لك من الحيلة إلا أن أصوّره – أي الكتاب – لك في أحسن صورة وأقلّبَك منه في الفنون المختلفة، فأجعلَكَ لا تخرجُ من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور ولا تخرجُ من الحديث إلا إلى الشِّعر الصحيح، ولا تخرجُ من الشّعر الصحيحِ الظريفِ إلا إلى المثلِ السائر الواقع"[٥٥].

فالجاحظ في استشهاده على ما يذهب إليه، وفي ترويحه عن القارئ لكتابه ينطلق من القرآن الكريم ثم ينتقل إلى الحديث النبوي الشريف، ثم يعرج بعد ذلك إلى الشعر الصحيح الفصيح، ليصل في الأخير إلى المثل السائر.

وسأقتصر على شاهد القرآن وقراءاته المختلفة لكونها محل الدراسة.

المطلب الأول: شاهد القرآن الكريم وقراءاته.

لقد عَرَف القرآن الكريم وقراءاته القرآنية منزلة كبيرة بين أصناف العلماء والدارسين، وسنحاول – إن شاء الله – أن نفردها بالتعريف.

٥٥– كتاب الحيوان– الجاحظ –ج : ٥ – ص: ١٥٦.

المسألة الأولى: القرآن الكريم.

أولا: تعريفه.

١– لغة:

المشهور بين علماء اللغة أن لفظ القرآن في الأصل مصدر مشتق من قرأ، يقال قرأ قراءة وقرآناً[٥٦]؛ فهو مصدر مرادف للقراءة ويشير إليه قوله تعالى:

(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)[٥٧]

وقيل إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا، وقيل إنه مشتق من قرأ بمعنى جمع ومنه قرى الماء في الحوض إذا جمعه، ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علماً، ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن الكريم، وعلى كل آية من آياته[٥٨]، فقد يطلق لفظ القرآن على جميعه وعى بعضه وقد تسمى الكتب القديمة قرآنا[٥٩].

٢– اصطلاحا:

للقرآن الكريم تعريفات كثيرة، وذلك بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن الكريم. إلا أن التعريف الجامع و المانع له يكمن في قولهم:" القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجز، المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة جبريل عليه السلام بلسان عربي مبين، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[٦٠].

٥٦– ينظر : لسان العرب – ابن منظور –مادة: قرأ– ج : ١ – ص: ١٢٨، و محمد الرازي – مختار الصحاح– ج:١ ص: ١٣٠.

٥٧– سورة القيامة– الآيتان: ١٧– ١٨.

٥٨– مباحث في علوم القرآن والحديث–.عبد المحمود مطلوب –مصر– القاهرة– مؤسسة المختار للنشر والتوزيع– ط:١– ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م– ص:٧

٥٩– لإيمان الأوسط (شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان)– أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – الجزائر– الشركة الجزائرية اللبنانية– ط:١– ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م– ص :٦٠.

٦٠– ينظر : شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع – عبد الرحمن السيوطي –تحقيق:. محمد إبراهيم الحفناوي– مصر– دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – ط:١ – ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م– ج:١– ص:١٤٣. والتبيان في علوم القرآن– محمد علي الصابوني–لبنان– بيروت– دار عالم الكتب– ط:١ – ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م– ص:٠٧/ ٠٨. والمقدمة– ابن خلدون– لبنان– بيروت– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– ط:١– ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م– ص: ٤١٩

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيوداً أخرى مثل: المتحدى بأقصر سورة منه، أو المكتوب بين دفتي المصحف، أو المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس [٦١].

والواقع أن التعريف الذي ذكرناه آنفاً تعريف جامع مانع لا يحتاج إلى زيادة قيد آخر، وكل من زاد عليه قيداً أو قيوداً مما ذكرناه لا يقصد بذلك إلاّ زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن الكريم التي يتميز بها عما سواه.

ثانيا: منزلة الاستشهاد بالقرآن الكريم.

لقد نال القرآن الكريم المنزلة العظمى في كل النواحي والمجالات، فكان بحق الكتاب الخالد و المعجزة الكبرى والحجة البالغة، وقد جاءت أحاديثٌ كثيرة تؤكد ذلك ، وحسبنا من ذلك ما روى عن علي رضي الله عنه قال: سمعت صلى الله عليه وسلم يقول: « **ستكون فتن كقطع الليل المظلم** » قلت: يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: « **كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم**»[٦٢]

ولا شك أن الشاهد القرآني يقوي المعنى والحجة، وهي سمة مشتركة مع الشواهد الأخرى، ولكنه يزيد عليها قوة الإيحاء والتأثير، لما له من مكانة إيمانية في قلوب المتلقين. ولأنه منزل من ربّ العالمين.

٦١- ينظر: مباحث في علوم القرآن والحديث- .عبد المحمود مطلوب –ص: ٧/ ٨ .

٦٢- سنن الترمذي- الترمذي –ج: ١٠- ص: ١٤٧.والمصنف في الأحاديث والآثار- ابن أبي شيبة الكوفي- تعليق: سعيد اللحام- لبنان - بيروت- دار الفكر - د.ط- د.ت- ج:٧- ص: ١٦٤. والجامع لأحكام القرآن- القرطبي –ج :١- ص:٥.

ومن مظاهر الاستشهاد بالقرآن الكريم استعمال بعض آياته كأمثال وحكم بتداولها الناس فيما بينهم ويدللون بها عن بعض الوقائع المستحدثة في زمانهم. وقد أورد عبد الرحمن السيوطي في كتابه الإتقان باباً في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وقال عنه:"... وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل"[٦٣]، وأورد من ذلك قوله تعالى:

(لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ)[٦٤]

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)[٦٥].

(لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[٦٦].

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[٦٧] .

ومن مظاهر الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الدليل به على المخالفين أو المعاندين يقول ابن الأثير في كتابه السابق"...ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز: إقامة الحجة وقطع النزاع، وإرغام الخصم كما روي أن الحجاج قال لبعض العلماء:" أنت تزعم أن الحسين رضي الله عنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأت على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل وإلا قتلتك". فقرأ قوله تعالى :

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٨٤)وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٥)[٦٨]

وعيسى هو ابن ابنته. فأسكت الحَجَّاج٦٩.

وأما الاستشهاد بآية من الآيات على واقعة جرت وحدثت، فهذا لا بأس به، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم استشهد بالآيات على الوقائع، من ذلك استشهاده عليه الصلاة والسلام حينما جاء الحسن والحسين يتعثران في قميصين أحمرين وهو يخطب في الناس، فقطع كلامه ونزل فحملهما ثم عاد إلى منبره و قال صلى الله عليه وسلم الآية:

٦٣- الإتقان في علوم القرآن – عبد الرحمن السيوطي- ص: ٧٣٨.

٦٤- سورة النجم- الآية: ٥٨.

٦٥- سورة آل عمران- الآية: ٩٢.

٦٦- سورة الأنعام- الآية: ٧.

٦٧- سورة الروم- الآية:٤١.

٦٨- سورة الأنعام- الآيات: ٨٣ – ٨٤- ٨٥

٦٩- نهاية الأرب في فنون الأدب- النويري- ج: ٢- ص: ٢٧٤

(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)[٧٠]

كما أن هذا القرآن الكريم منارة تتلألأ يهتدي بها العلماء لإرساء القواعد اللغوية والبلاغية، وإبقائها في سلامة وصحة، وهو مصدر من مصادر التقعيد، وكان سببا في اجتهاد العلماء وتوافرهم على وضع علوم النحو والصرف وعلوم البلاغة وغيرها، واستقصاء المفردات وتحرّي مصادر الفصيح والدخيل. يقول عبد الرحمن السيوطي في كتابه، الإتقان، واصفا القرآن بأنه:" مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدى وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد. فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، و النحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام. وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولى الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول و تسلب العقول، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب"[٧١].

يعدّد السيوطي– رحمه الله– ميزات القرآن الكريم؛ فهو أصل كل العلوم نثر فيه ألوان الهداية بل هو الهداية نفسها، و به يُعرف الحق والباطل به، بل هو الحق المبين و الصراط المستقيم، يحتاج إليه الأصول ي والنحوي والفقيه والبلاغي، إضافة إلى ما فيه من القصص والأخبار و المواعظ والأمثال، وكل ذلك بفصاحة ليس لها نظير، وبلاغة تبهر الكبير والصغير وإعجاز تكشف عنه الأيام والسنين.

فأفضل ما يحتج به في تقرير أصول اللغة القرآن الكريم فإنه نزل بلسان عربي مبين ولا يمتري أحد في أنه بالغ في الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليست بعدها مرتقى[٧٢].

وقد أجاد أحمد شوقي عندما وصف القرآن بقوله:٧٣

جاءَ النبيّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَت ✕ وَجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَرِمِ

آياتُهُ كُلَّما طالَ المَدى جُدُدٌ ✕ يَزينُهُنَّ جَلالُ العِتقِ القِدَمِ

---

[٧٠]– سورة التغابن– الآية: ١٥

[٧١] – الإتقان في علوم القرآن– عبد الرحمن السيوطي – ص:٢١

[٧٢] – القياس في اللغة العربية محمد لخضر حسين– – الجزائر– المؤسسة الوطنية للكتاب– ط:١–١٤٠٦هـ/١٩٨٦م– ص:٣٦.

٧٣– الديوان – أحمد شوقي – ج: ٢– ص: ٣٥.

المسألة الثانية: القراءات القرآنية.

لا شك أن القراءات القرآنية من أهم الموضوعات التي يتناولها الدارسون لتعلقها بكتاب الله تفسيرًا وبيانًا، وتعد مصدرا مهما من مصادر اللغويين النحويين والبلاغيين وغيرهم، بوصفها شواهد على صحة القواعد التي يستنبطوها. ولذلك اهتموا بها ورووها وأوردوها في كتبهم ومصنفاتهم. وقبل أن نقف على بعض تلك الجوانب لابد أن نعرّفَها ونتعرَّف على أقسامها.

أولا : تعريف القراءات.

١- لغة :

القراءات جمع مفرده قراءة، وأصل مادتها تعود إلى (ق ر ى) وهو أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك[٧٤]. قال الله تعالى:

(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)[٧٥]

والقراءة مأخوذة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا فهي مصدر من قولك قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض[٧٦]، وفي اللسان جاء معنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا أي ألقيته[٧٧].

٢- اصطلاحا:

ذكر علماء القراءات تعريفات متعددة، بعضها قريب من المقصود والبعض الآخر متداخلة فيما بينها و أبرز هذه التعريفات نذكر:

أ- تعريف ابن الجزري: حيث قال:" القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[٧٨].

ب – تعريف القسطلاني: علم القراءات عنده:" علمٌ يعرَف به اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال"[٧٩].

---

[٧٤] – معجم مقاييس اللغة –أحمد بن فارس- ج: ٥ – ص: ٧٩/٧٨.

[٧٥] – سورة القيامة- الآية : ١٧

[٧٦] – تهذيب اللغة- الأزهري- ج: ٩- ص:٢٧١

[٧٧] – لسان العرب – ابن منظور- – ج:١- ص: ١٢٩

٧٨ – منجد المقرئين ومرشد الطالبين – ابن الجزري- – لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية– د.ط- د.ت- ص:٣

[٧٩] – لطائف الإشارات لفنون القراءات- شهاب الدين القسطلاني- تحقيق: عامر السيد – مصر- القاهرة – لجنة إحياء التراث – د .ط- ١٣٩٢هـ/١٩٧١م- ج:١- ص: ١٧٠.

ج – تعريف عبد الفتاح القاضي: القراءات عند هذا العالم:" علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله"[٨٠] .

د – تعريف الزر قاني: وقد عرفها بقوله:" مذهب، يذهب إليه إمام من الأئمة مخالفاً به غيره، في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أو في نطق هيئاتها"[٨١].

الملاحظ من التعريفين الأولين، تعريف ابن الجزري والقسطلاني، اشتراط النقل والسماع، لأن القراءة سنة[٨٢]، كما قال كثير من العلماء، ويمكن أن نجمل هذه التعريفات بالقول أن القراءات: "هي مذاهب الناقلين لكتاب الله في كيفية أداء الكلمات القرآنية"[٨٣].

وقد أورد أستاذنا الدكتور خير الدين سيب في كتابه " القراءات القرآنية– نشأتها– أقسامها– حجيتها" عشر تعريفات في حد القراءات القرآنية لعلماء ومفسرين وقراء وقدماء ومحدثين، واستخلص في الأخير أن هذه التعاريف لا تخرج عن ثلاثة عناصر هي[٨٤]:

١. مواضع الاختلاف في القراءات.
٢. النقل الصحيح– العزو للناقل– سواء أكان متوترا أم أحادا.
٣. حقيقة الاختلاف بين القراءات.

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن هناك فرقا بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية ذكره الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" بقوله: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان. فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة

---

[٨٠] – البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة – عبد الفتاح القاضي– – المملكة العربية السعودية– الرياض– مكتبة أنس بن مالك– ط١– ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ – ص:٥ .

[٨١] – مناهل العرفان في علوم القرآن– محمد عبد العظيم الزر قاني– لبنان– بيروت– دار الكتاب العربي– ط:١– ١٤١٥هـ/١٩٩٥م– ج: ١– ص: ٣٣٦.

[٨٢] – ينظر : الإتقان في علوم القرآن– عبد الرحمن السيوطي– ص:٧٥. ولهجات العرب في القرآن الكريم – عبد الله عبد الناصر جبري– – لبنان– بيروت– دار الكتب العلمية– ط:١– ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م– ص: ٢٢٨.

[٨٣] – لهجات العرب في القرآن الكريم – عبد الله عبد الناصر جبري– ص: ٢٢٩

[٨٤] – ينظر: القراءات القرآنية– نشأتها– أقسامها– حجيتها–خير الدين سيب– – الجزائر– دار الخلدونية للنشر والتوزيع– ط:١– ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥ م– ص : ٢٠/١٥.

الحروف، أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما.[٨٥] وعلم القراءات هو ذلك العلم الذي يعرَف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه لناقله[٨٦].

فموضوع علم القراءات على هذا الأساس كلمات القرآن الكريم من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

وقيل إن بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية عموم، وخصوص مطلق؛فكل ما هو قرآن يمكن عدّه قراءة قرآنية، بينما ليس كل ما يندرج تحت القراءات القرآنية هو قرآن[٨٧].

ثانيا: أقسام القراءات.

تعدّدّت تقاسيم العلماء للقراءات من مثن لها ومثلث ومربع، ومنهم من زاد على ذلك؛ فنرى القاضي جلال الدين البلقيني يقسمها— فيما نقله عنه السيوطي – إلى ثلاثة أقسام متواتر ، وآحاد ، وشاذ، ويقسمها السيوطي إلى ستة أقسام: متواتر ومشهور، وآحاد، وشاذ وموضوع ، ومدرج[٨٨].

والواضح من تقسيمات السيوطي تأثره بمصطلح الحديث، وهذا الأمر أُولع به وطبّقه في كتابه " الإتقان في علوم القرآن" الذي حاكى فيه علوم الحديث في التقاسيم والأنواع.

ولعلّ التقسيم الذي عليه أكثر المتأخرين تقسيمها إلى قسمين اثنين مجمع عليهما باختلافٍ في التعبير عنهما بين العلماء؛ وهما القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة:

أ- القراءة الصحيحة:

قد تكفل ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر" بتعريف القراءة الصحيحة بقوله:" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبوله، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة، أو باطلة سواء كانت عن السبعة، أم عمّن هو أكبر منهم. هذا هو الصحيح عن أئمة السلف والخلف"[٨٩] .

---

[٨٥] – البرهان في علوم القرآن – الزركشي– ج :١– ص : ٣١٨.

[٨٦] – القول السديد في مقدمات علم القراءات وفن التجويد– أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحسيان– مصر– القاهرة– دار البيان العربي– ط:١–١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م– ص: ٢٩ .

[٨٧] – المصدر نفسه – ص: ٣١.

[٨٨] – الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – ص: ١٩٧

[٨٩] – النشر في القراءات العشر– ابن الجزري– لبنان– بيروت— دار الكتب العلمية— د.ط– د.ت –ج:١ – ص:٩.

يفهم من تعريف ابن الجزري هذا أن للقراءة الصحيحة ثلاث شروط تتمثل في ما يلي:

- ✓ موافقة اللغة العربية ولو بوجه.
- ✓ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
- ✓ صحة السند .

وتطبيق معايير القراءة الصحيحة السابقة على القراءات القرآنية يدخل كثيرًا من القراءات غير السبعية في القراءات الصحيحة ويخرج عددًا من القراءات السبعية من الصحة إلى الشذوذ. يؤكد ذلك ما روي عن القراء السبعة من قراءات وُصفت بأنه شاذة، فقد ذكرت بعض الإحصائيات أن حمزة الزيات رويت عنه ثلاث روايات وصفت بالشذوذ، والكسائي رويت عنه سبع روايات، ونافع بن أبي نعيم رويت عنه تسع روايات، وعبد الله بن عامر رويت عنه اثنتا عشرة رواية، وعبد الله بن كثير رويت عنه ستة عشرة رواية، وعاصم بن أبي النجود رويت عنه خمس وعشرون رواية ، وأبو عمرو بن العلاء رويت عنه ستون رواية. ولا شك أن هذا الشذوذ لم يتطرق إليها بسبب مخالفتها للرسم، أو انحرافها عن العربية، ولكن بسبب ضعف الرواية[٩٠].

ب- القراءة الشاذة:

مفهوم الشاذ:

الشاذ مشتق من مادة (ش ذ ذ)، وهو مصدر من شذ يشذ شذوذًا، تقول شذ الرجل إذا انفرد عن القوم واعتزل جماعتهم[٩١].

فالشذوذ يدل على الانفراد والندرة والتفرق والخروج على القاعدة والأصول؛ فكل شي ء منفرد فهو شاذ[٩٢].

والشاذ في الاصطلاح يختلف مفهومه حسب كل علم، فهو عند النحاة غيره عند علماء السنة، ويختلف عنهما لدى علماء القراءات.

---

[٩٠]- الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – ص: ١٩٤/١٩٧

[٩١] – لسان العرب- ابن منظور – ج: ٧ – ص: ٣٣٢.

٩٢ – الخصائص- أبو الفتح عثمان ابن جني- تحقيق محمد علي النجار- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ط٣- ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م- ج١: – ص: ٩٦. و تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزبيدي- الكويت- التراث العربي-د.ط- ١٣٨٥هـ/١٩٦٤م- ج: ٥ – ص: ٢٨-٢٩.

فالقراءات الشاذة هي التي تقابل القراءات المتواترة، وعُرفت بأنها" من فقدت ركنًا أو أكثر من أركان القراءة المقبولة"[٩٣]، كما عرفت بأنها كل قراءة بقيت وراء مقياس ابن الجزري الذي قال:"... ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم[٩٤].

ولعلّ التعريف الذي تطمئن إليه النفس في تعريف القراءة الشاذة هو:القراءة التي صح سندها ووافقت اللغة العربية ولو بوجه وخالفت المصحف.

وهذا التعريف هو الذي اعتمده ابن تيمية في الفتاوى وابن الجزري في النشر[٩٥].

وبهذا يعلم أن القراءة الشاذة عند الجمهور هي ما لم يثبت بطريق التواتر، ولعل السبب في تسميتها بالقراءة الشاذة يعود إلى أنها شذت عن الطريق الذي نقل به القرآن حيث نقل بجميع حروفه نقلاً متواترًا.

ثالثا: القراءات القرآنية والمعنى.

من المعلوم أن الهدف الرئيس من تعدد القراءات واختلافها هو التيسير ورفع الحرج عن الأمة في قراءة كتاب ربها عز وجل، يقول ابن الجزري في كتابه" النشر في القراءات العشر" عند حديثه عن الأحرف السبعة:" فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها...وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيِّها". وبعد أن استشهد ابن الجزري ببعض الأحاديث الصحيحة استمر في بيان الحكمة قائلا:" إن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق: أحمرها وأسودها، عربيّها وعجميّها. وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتِهم لغاتُهم مختلفة ، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا

---

٩٣ – الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي– ص: ١٩٨.

٩٤ – النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – ج:١– ص:٩.

٩٥ – ينظر: مجموع الفتاوى الكبرى– ابن تيمية– ج: ١٣– ص: ٣٩٣/٣٩٤. النشر في القراءات العشر–ابن الجزري–ج: ١ص١٦–١٧.

بالتعليم والعلاج، ولا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابًا ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع... "[٩٦].

ويشير إلى ذلك قوله في طيبة النشر[٩٧] :

وأصل الاختلاف أن ربّنا ❀ أنزله بسبعة مهوِّنَا

أي مُهونا على قارئيه ورافعا الحرج عليهم.

ولكن إلى جانب هذا لهدف احتوت ظاهرة التنوع في القراءات جوانب أخرى أعطت للنص القرآني تميزه وسموه عن الكتب السماوية الأخرى وعن النصوص البشرية النثرية والشعرية على حدٍ سواء، مما استحق أن يتصف هذا القرآن بالإعجاز.

وكان من بين هذه الجوانب جانب تعدد المعاني بتعدد القراءات، إذ كل قراءة زادت معنى جديداً لم تبينه أو توضحه القراءة الأخرى[٩٨]، وبهذا اتسعت المعاني بتعدد القراءات، إذ تعدّدّ القراءات يقوم مقام تعدد الآيات القرآنية؛ وفي ذلك يقول ابن عاشور في تفسيره:" على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى، ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئا عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع ..."[٩٩].

وبهذا يكون من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية تكثير المعاني واتساعها، ولكن من غير تناقض أو تباين في المعاني، وإن وجدت قراءتان بمعنيين مختلفين لا نقدح في واحدة منهما ولا نفضل إحداهما على الأخرى.

---

[٩٦] – النشر في القراءات العشر – ابن الجزري– ج: ١– ص:٢٢.

[٩٧] – شرح طيبة النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – ضبط وتعليق : أنس مهرة – لبنان – بيروت– دار الكتب العلمية– ط:٢– ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م– ص: ٧.

[٩٨] – ينظر: البرهان في علوم القرآن– الزركشي– ج: ١– ص:٣٢٧ ، و الإتقان غي علوم القرآن– عبد الرحمن السيوطي– ج:١– ص: ٩٨

[٩٩] – تفسير التحرير والتنوير– الطاهر بن عاشور – تونس — الدرة التونسية للنشر –ط:١ — ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م– ج: ١– ص: ٤٨.

يقول القرطبي في ذلك:"... وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال إحداها أجود من الأخرى، كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها..."[١٠٠].

ويقول عند حديثه عن القراءات الشاذة :" وإن لم يثبت كونه قرآنًا فقد ثبت كونه سنة وذلك يوجِبُ العمل كسائر أخبار الآحاد"[١٠١].

كما أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب التي عُرفت بالمعاني الكثيرة للفظ الواحد أو العبارة الواحدة، وهذا من الخصائص التي تميزت به اللغة العربية عن غيرها من اللغات[١٠٢].

وقد ذكر غير واحد من العلماء[١٠٣] أن اختلاف القراءات القرآنية مردّه إلى ثلاثة أحوال:

الأول: اختلاف اللفظ والمعنى الواحد.

كاختلافهم في قوله تعالى:(الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط، فالكلمة الأولى تقرأ بالسين والصاد والزاي، والثانية: عليهم، وإليهم ولديهم، بضم الهاء مع إسكان الميم وبكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها، والثالثة و يؤده إليك، ونؤته منها، و فألقه إليهم، بإسكان الهاء وبكسرها مع صلتها واختلاسها، ونحو ذلك البيان والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتخفيفه وشبهه مما يطلق عليه أنه لغات فقط.[١٠٤]

فاختلاف الألفاظ في هذه الكلمات لم يؤد إلى اختلاف المعنى، وإنما بقي المعنى نفسه في تلك الكلمات.

الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

---

[١٠٠] – الجامع لأحكام القرآن– القرطبي– ج:١٤– ص: ٢٩١ ، وينظر: البرهان في علوم القرآن– الزركشي– ج:١– ص:٣٣٩ .

[١٠١] – المصدر نفسه – ج:١ص:٤٧.

١٠٢– تاريخ آداب اللغة العربية– جرجي زيدان – مصر– القاهرة– مؤسسة دار الهلال–ط:١ –د.ت– ج:١– ص:٤٦

١٠٣– ينظر: الأحرف السبعة للقراءات – أبو عمر الداني – تحقيق : عبد المهيمن طحان– المملكة العربية السعودية–جدة– دار المنارة للنشر والتوزيع– ط:١– ١٤١٨هـ/١٩٩٧م–ص: ٤٧–٤٨–٤٩. و البرهان في علوم القرآن الزركشي– –ج:١– ص:٢٢٤ . و النشر في القراءات العشر– ابن الجزري– ج:١ – ص:٤٩/٥٠

[١٠٤] – البرهان في علوم القرآن – الزركشي – ج: ١ – ص: ٢٢٤.

نحو قوله تعالى: (مالك، وملك) في الفاتحة، لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى، لأنه مالك يوم الدين وملكه، وكذلك في قوله تعالى(يَكْذِبون،ويُكَذِّبون) لأنهم يَكْذِبون في أخبارهم، ولأنهم يُكذِّبون بالنبي[١٠٥].

الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد: وذلك نحو قوله تعالى:

(وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ)[١٠٦]

حيث قرئ بالتشديد والتخفيف في لفظ كذبوا هكذا كُذِّبوا، وكذِبوا، فأما وجه التشديد فالمعنى: وتيقَّنَ الرسل أن قومهم قد كذّبوهم, وأما وجه التخفيف فالمعنى: وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذَبوهم- أي كذبوا عليهم - فيما أخبروهم به، فالظن في الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم[١٠٧].

وكذا قوله: **(وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)**[١٠٨]

بفتح النون الأولى ورفع الأخرى، وبكسر الأولى وفتح الثانية، فهو أن يكون أن مخففة من الثقيلة أي وإن مكرهم كان من الشدة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها وفي القراءة الثانية إن نافية أي ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام ففي الأولى تكون الجبال حقيقة وفي الثانية مجازاً[١٠٩].

فإن ذلك كله وإن اختلف لفظاً ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد و التناقض[١١٠].

وسوف ندلل على هذا الأمر بزيادة من التوضيح بما سنعرضه من بعض القراءات القرآنية في ما تبقى من دراستنا المطبقة على معجم تهذيب اللغة إن شاء الله تعالى.

رابعا: الاستشهاد بالقراءات القرآنية.

---

[١٠٥] - المصدر نفسه- الجزء والصفحة.

١٠٦ - سورة يوسف من الآية: ١١٠.

[١٠٧]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي- ج : ٩ - ص : ٢٧٥.

[١٠٨] - سورة إبراهيم من الآية: ٤٦.

[١٠٩]- مناهل العرفان في علوم القرآن-محمد عبد العظيم الزر قاني- ج: ١- ص: ٨٥-٨٦.

[١١٠] - النشر في القراءات العشر – ابن الجزري - ج:١- ص: ٥١.

فد حظيت القراءات القرآنية باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام إلى يومنا هذا، فقد تجرد عدد كبير من علماء المسلمين لخدمة هذا القرآن و قراءاته، وسطّروا كل ما جادت به عقولهم وأفكارهم في مؤلفاتهم حتى أصبحت مفخرة المسلمين ومضانّ الدارسين من بعدهم في الدرس والتأليف.

والمتأمل في الدرس اللغوي العربي يجده قد تأثر تأثراً واضحاً بهذه المؤلفات ، إذ لا يكاد يخلو كتابٌ في أصوات العربية وصرفها ونحوها ومادتها المعجمية واللغوية من جملة كبيرة من القراءات وما يتصل بها من مسائل مثّلت القواعد والضوابط التي أصلت للغة العربية من حيث مفرداتها وأساليبها.

وقد بذل العلماء جهداً فائقاً لخدمة القرآن بمختلف قراءاته المتواترة والشاذة، فوجَّهوها بالتعليل المستند إلى الأصول المعتمدة عندهم، واستشهدوا على ذلك بالشواهد الفصيحة التي جمعوها من البوادي عبر رحلاتهم العلمية المديدة ، وقد استندوا إلى هذه القراءات في تأصيل قواعدهم، وإرساء معالم الصناعة النحوية والصرفية، وضبط مفردات اللغة[١١١].

يقول الخطيب البغدادي:" فكلامه- عز اسمه- أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه"[١١٢]

ومن المعلوم -كما ذكرنا آنفا- أن للقراءات الصحيحة شروطاً ومعايير تجعلها مقبولة وقد اعتمدها النحاة واللغويون والبلاغيون وغيرهم،واستنبطوا منها الأصول التي بَنَوْا عليها علومهم، وما خالف شروط القراءة الصحيحة عَدُّوه شاذاً، وقد وضع كثير من هؤلاء الغويين أو النحويين شرطًا واحدًا لصحة الاستشهاد بالقراءة، وهو صحة نقلها عن القارئ الثقة حتى لو كان فردًا، سواء رويت القراءة بطريق التواتر أو الآحاد، وسواء كانت سبعية أو عشرية أو شاذة. بل إن ابن جني في كتابه المحتسب كان حريصًا على وضع القراءة الشاذة على قدم المساواة مع القراءة المتواترة، وذلك عندما عرّف كلا من القراءة الصحيحة والشاذة بقوله إن من القراءات: "ضرباً اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموسوم بقراءات السبعة، وهو بشهرته غان عن تحديده، وضرباً تعدَّى ذلك، فسمَّاه أهل زماننا شاذاً، أي: خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدَّم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى

١١١- مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري – محمد شعبان صلاح- مصر- القاهرة – دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر- ط:١ ١٤٢٥هت/٢٠٠٥م- ص: ٩/١٠/١١.

١١٢ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب -عبد القادر البغدادي - ج: ١– ص: ٩.

قرائه، محفوف بالرواية من أمامه ووراءه. ولعله أو كثيرًا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنُف بغيره فصاحته*وترسو به قدم إعرابه..."[١١٣].

وإذا كان بعض العلماء يحظر التعبد أو الصلاة بغير المتواتر لأنه ليس بقرآن[١١٤]، فهناك من العلماء من سمح بروايته، والاستشهاد به لأسباب أخرى. يقول القسطلاني في لطائف الإشارات:"إن من قرأ بالشواذ غير معتقد أنها قرآن، ولا يوهم أحدًا بذلك بل لما فيها من الأحكام الشرعية أو الأحكام الأدبية فلا كلام في جواز قراءتها"[١١٥].

فالقراءات المتواترة والشاذة حجّة عند أهل العربية، وإن كانت الأُولى أعلى قدراً، وبهذا تدخل القراءات القرآنية بجميع درجاتها ومستوياتها في الدرس الأدبي واللغوي والبلاغي، وتقف على قدم المساواة مع القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر الجاهلي والإسلامي، ومأثور النثر من حكم وأمثال وخطب في صحة الاستشهاد بها، والاستناد إليها في إثبات سلامة التعبير، وفي إمكانية اتخاذها مرتكزًا لتحقيق التيسير.

خامسا : أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.

بعد تتبعنا للقراءات القرآنية الموجودة في متن معجم تهذيب اللغة للأزهري –رحمه الله– ظهر لنا بجلاء ووضوح المكانة العلمية للكتاب من ناحية، والعصر الزاهر الذي عاش فيه المؤلف من ناحية أخرى، وكان هذا الزمن غنيا بكتب القراءات وتوجيهاتها وأصحابها، فلم تكن، القراءات في هذا الزمن، مضطربة وقليلة بالنحو الذي عُرِف وشاع فيما قبل، فلم يكن بعيدا عن زمن ابن مجاهد صاحب السبعة في القراءات في القرن الرابع الهجري، ومن علماء القراءات الذين سبقوه أو المعاصرين له الذين عاش

---

* – يريد أن فصاحته متفوقة .

[١١٣] – المحتسب – ابن جني– تحقيق: علي النجدي ناصف و. عبد الحليم النجار و. عبد الفتاح إسماعيل شلبي– مصر– القاهرة– مطابع الأهرام– ط:١– ١٤١٥هـ/١٩٩٤م– ج:١– ص: ٣٢

[١١٤] – ينظر: ابن تيمية– ج:٣– ص: ٢٠٥. والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد– أبو عمر يوسف ابن عبد البر– تحقيق محمد الفلاح – ط:١ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م– ج:٨ – ص: ٢٩٣ . – مختصر العلامة خليل – وخليل بن إسحاق المالكي –ص: ٢٩. و الجامع مجموع الفتاوى – القرطبي– لأحكام القرآن–ج:١– ص: ٤٧–٤٨ . شرح النووي على صحيح مسلم وأبو زكريا يحي بن شرف النووي ––ج:٥ –ص : ١٣١

[١١٥] – – لطائف الإشارات لفنون القراءات– شهاب الدين القسطلاني – ج:١– ص: ١٧٩.

معهم وأخذ عنهم أمثال: أبو عمرو بن العلاء،و أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وقد ذكرهم الأزهري في مقدمة كتابه[١١٦].

والذي يبدو من تصفح المعاجم اللفظيّة القديمة هو أنّ أصحابها لم يكن بينهم خلاف في الاحتجاج بالقرآن ولا بقراءاته المتعددة ومن هنا رأينا المعاجم اللفظيّة تحفل بهذين المصدرين، ويعدّ تهذيب اللغة من أبرز معاجم الألفاظ في هذا الجانب، فقد اعتنى بالشواهد القرآنية، والقراءات القرآنية عناية فائقة؛ ولا غرابة في ذلك فقد ربط الأزهريّ خاصّة وعلماء المعاجم واللغة عامّة بين فهم اللغة ومعرفة الكتاب العظيم والسنة الشريفة، يقول الأزهريّ:" نزل القرآن الكريم والمخاطبون به عرب أولو بيان فاضل وفهم بارع أنزله جل ذكره بلسانهم وصيغة كلامهم الذي نشأوا عليه وجبلوا على النطق به فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين فيمن لا يعلم لسان العرب حتى يعلّمه ولا يفهم ضروبه وأمثاله، وطرقه وأساليبه يفهمها"[١١٧].

ومما يبرز قيمة القراءات القرآنية في معجم الأزهري بعض الأمور أجملها في ما يلي:

- ✓ الكم الهائل من القراءات القرآنية التي تكاد توجد في كل باب من أبواب كتابه، فلا تجد في فصل من فصوله إلا واستشهد بوجه من وجوه القراءات أو شرح قراءة أو بيّن قاعدة نحوية أو صرفية.
- ✓ اعتماده على أصحاب القراءات المشهورين الذين كان لهم قدم راسخة في مجال القراءات وتوجيهها من كل النواحي.
- ✓ – بعض العبارات المبثوثة في المعجم الدالة على أهمية القراءات القرآنية عند أبي منصور الزهري؛ ففي مادة* عثا * عند قوله تعالى:

(كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [١١٨].

يقول الأزهري:" القرّاء كلهم قرءوه ولا تَعثوا بفتح التاء مِن عَثِى يَعْثى عُثُوّا ... وفيه لغتان أخريان لم يُقرأ بواحدة منهما عثا يعثو مثل سما يسمو، ولو جازت القراءة بهذه اللغة لقرئ ولا تَعْثُوا، بالضم، ولكن القراءة سنَّة، ولا يقرأ إلاّ بما قرأ به القراء..."[١١٩]

---

[١١٦] – – تهذيب اللغة ينظر: الأزهري – ج: ١ – ص: ١٨

[١١٧] – المصدر نفسه– ج: ١ – ص: ٤/٣.

[١١٨] – سورة البقرة– الآية: ٦٠.

ويقول في مادة*صدق*عند قوله تعالى:

(وآتوا النِّساء صَدُقاتهنَّ نِحْلَةً)[١٢٠] " يجوز صُدَقاتِهِنَّ بضم الصاد وفتح الدال ويجوز صُدُقاتهنَّ، ولا يقرأ من هذه اللغات إلا بما قرئ به لأن القراءة سُنَّةٌ"[١٢١].

فالأزهري في هذين المثالين يذكر لغات لفظتي عثا وصدقاتهن من حيث لغات العرب ويبيّن ما جاءت به القراءة القرآنية ويركز على سنيّة القراءة ولا يُجوِّز في القرآن القراءةَ بغير ما قرأ به القرآن.

وإذا وافقت لغة العرب وجوه القراءة أشار إليها وبيّن عدم الفرق بينهما، من ذلك في لفظة كره؛ حيث ذكر فيها وجهين، بفتح الكاف وبضمها، وقال:" ولا أعلم ما بين الأحرف التي ضمها هؤلاء وبين التي فتحوها فرقا في العربية ولا في سنة تتبع"[١٢٢].

---

[١١٩] – تهذيب اللغة– الأزهري–ج: ٣ ص: ١٥٠.

[١٢٠] – سورة النساء الآية: ٠٤.

[١٢١] – تهذيب اللغة– الأزهري–ج: ٨ ص: ٣٥٦.

[١٢٢] – المصدر نفسه– ج: ٦ ص: ١٣.

المبحث الثالث: منهج الأزهري في الاستشهاد بالآيات القرآنية والقراءات.

قد أكثر المصنف –رحمه الله– من الاستشهاد بالآيات القرآنية و بالقراءات ، وسنعرض في هذا المبحث، بحول الله، منهجه في الاستشهاد بذلك مع إيراد أمثلة من أقواله

ويمكن تقسيم هذا المنهج إلى ثلاث أقسام:

١– قسم عام اعتمد فيه منهجَ ذكرِ القراءات وغيرها بصفة عامة.

٢– قسم يكمن في كيفية الاستشهاد بالآيات القرآنية وبالقراءات وإيراد معانيها وذكر دلالاتها.

ودونك التفصيل:

المطلب الأول: المنهج العام في عرض القراءات.

لقد اعتمد الأزهري– رحمه الله – منهجا عاما سار على نهجه في ما أورد من قراءات قرآنية وغيرها، سأجمله في النقط التالية:

أ – أنه يذكر كل قراءة في مكانها على حسب أبواب معجمه وهو الغالب، وقد يجمع ما في الكلمة من وجوه في الموضع الذي وردت فيه من القرآن الكريم، ويذكر الآيات القرآنية جميعها إذا وجدت فيها ألفاظا متشابهة، والأمثلة في هذا كثيرة، بل تكاد تكون الغالبة في كل استشهاداته، فنجده مثلا في مادة*عجب* يورد آيتين من القرآن الكريم حوتا كلمة من هذا الباب، باب (ع ج ب).

وهما قوله تعالى: **(بَلْ عَجِبْتَ وَيِسْخَرُونَ)**[١٢٣] وقوله تعالى: **(إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)**[١٢٤]

فذكر–رحمه الله تعالى– الآيتين الكريمتين في باب واحد، مع ذكره القراءات المختلفة فيهما[١٢٥]. وربما ذكر ثلاث آيات أو أكثر على حسب ورود القراءات المختلف فيها والموجودة في الباب.

ب– وقد يعيد الآية الكريمة أكثر من مرة إذا وجدت فيها عدة قراءات لبعض كلماتها، فقد أعاد الآية الكريم:

---

[١٢٣] – سورة الصافات – الآية: ١٢.

[١٢٤] – سورة ص – الآية ٥.

[١٢٥] – ينظر : تهذيب اللغة– الأزهري –ج :١ – ص :١٨٦.

(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)[١٢٦] مرتين، في باب *سكر*وفي باب *رأى* حيث بيّن اختلاف القراءات القرآنية في كل من كلمة(ترى) و(سكارى)؛ أما الأولى فذكر أنها قرأت بضم التاء وفتحها[١٢٧]، وأما الثانية فأورد أنها قرأت (سَكْرَى) بفتح السين وتسكين الكاف مع حذف الألف، و(سُكَارَى) بضم ففتح[١٢٨].

ج– من منهجه كذلك أنه يبين إجماع القراء على قراءة ما، ثم يبين ما يتوجب عليها من معان ودلالات، و بيان ذلك:

قوله في مادة*عثا*:" القراء كلهم قرءوه ولا تَعثوا بفتح التاء من عَثِى يَعْثى عُثُوّا وهو أشدّ الفساد"[١٢٩] وذلك في قوله تعالى: **(وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)**[١٣٠] و كذا عند قوله تعالى:**(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنها يَأكلُونَ)**[١٣١] حيث قال الأزهري:"اجتمع القرّاء على فتح الراء لأن المعنى فمنها يركبون [١٣٢]".

فالأزهري في هذين المثالين بيّن أن القراءة مجمع عليها عند كل القراء. فتكون عند ذلك القراءةُ صحيحةً أو متواترة أو سباعية.

د– ومن منهجه كذلك في هذا الباب أنه يبيّن إجماع القرّاء في كلمة ما و يستثني بعضهم؛ كما فعل في قوله تعالى:**(قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ)**[١٣٣] فذكر أن:"القرّاء كلهم على هذه القراءة، إلا ما رواه حسين الجعْفي عن أبي عمرو أنه قرأ هل أنتم مُطْلِعونِ–ساكنة الطاء مكسورة النون"[١٣٤]، وكذا قوله:" والقُرَّاء كلهم قرءوا: أيَّها، ويأَيها الناسُ، وأيها المؤمِنون، إلا ابن عامر فإنه يقول: أيُّهُ المؤمِنون"[١٣٥] بضم الهاء.

---

[١٢٦] – سورة الحج– الآية: ٠٢.

[١٢٧] – ينظر – تهذيب اللغة–: الأزهري– ج :١٥ – ص :٣٢٥.

[١٢٨] – ينظر : تهذيب اللغة–: الأزهري – ج :١٠ – ص :٥٧.

[١٢٩] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج :٣ – ص :١٥٠.

[١٣٠] – سورة البقرة– الآية : ٦٠

[١٣١] – سورة يس– الآية : ٧٢.

[١٣٢] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج :١٠ – ص :٢١٩.

[١٣٣] – سورة الصافات – الآية : ٥٤.

[١٣٤] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج :٢ – ص :١٦٩.

[١٣٥] – المصدر نفسه– ج :٦ – ص :٤٩٦.

هـ– لا عجب أن لا نجد ما هو دارج عند علماء القراءات من لفظ السبعة أو العشرة أو الأربعة عشر أو الأخوان، أو الشيخان، أو الابنان، وغير ذلك، لأن أبا منصور وُجد قبل أن تستقر هذه الألفاظ عند علماء القراءات.

و– جمع الأزهري– رحمه الله – في هذا الكتاب مادة وفيرة من أقوال وآراء علماء اللغة والتفسير والفقه قبله في تعليل بعض القراءات القرآنية، مع الموازنة بينها عند الاختلاف.

ومما يحمد له في هذا المجال أنه إذا نقل رأيا في تفسير الشاهد أرجعه لصاحبه أمانة للعلم وردا لأصحاب الفضل فضلهم. كما أنه نقل القراءات على كثير من العلماء، وتنوعت مصادر أخذه لها، فلم يكتفي في عرضه للقراءات وتوجيهها بكتب القراءات المعنية بجمعها وإنما تعدّاها إلى كتب اللغة والتفسير. ومن أولائك العلماء:

– الفراء: وهو أكثر العلماء ذكرا في معجم الأزهري، بل يكاد يذكره في كل استشهاداته إما في القراءات القرآنية أو في توجيهها؛ أما في أخذه القراءات عنه فقول لمصنف:" وقال الفراء في قول الله جل وعز: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا)**[١٣٦] قرأها أهل المدينة بفتح النون، وذكر عن عاصم(نُصوحاً) بضم النون"[١٣٧].

فالملاحظ في هذا المثال أن الأزهري–رحمه الله– أخذ القراءة عن الفراء وهي فتح النون في نصوحا وهي قراءة أهل المدينة، وضمها وهي قراءة عاصم.

وأما في توجيه بعض القراءات نجد أن المصنف عندما ذكر قوله تعالى: **(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)**[١٣٨] في مادة *عدل*وجّه القراءات الواردة فيها بقوله:" قال الفراء: من خفف فوجهه– والله أعلم– فصرفك إلى أيّ صورة شاء إما حسن وإما قبيح وإما طويل وإما قصير. ومن قرأ: فعدّلك فشدد– وهو أعجب الوجهين إلى الفراء وأجودهما في العربية– ومعناه جعلك مُعْتَدِلاً مُعْدَّلَ الخَلْق"[١٣٩].

فاعتمد في توجيه هذه القراءة على الفراء كما لاحظنا.

---

[١٣٦] – سورة التحريم – الآية : ٨.

[١٣٧] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج :٤ – ص :٢٥٠.

[١٣٨] – سورة الانفطار– الآية : ٧

[١٣٩] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج :٢ – ص :٢١٢.

– أبو جعفر النحاس، الكسائي، ثعلب، أبو الحسن الأخفش، قطرب، أبو جعفر الزجاج، والمبرد...وغيره، فكان يورد الأزهري أقوال هؤلاء العلماء في ذكره القراءات وتوجيهاتها وشرحها. والأمثلة كثيرة مبثوثة في كل معجمه. وهذا شيء طيب يحسب للمصنف إذ أنه بذلك أعطى كتابه صبغة علمية موثقة بالأدلة.

ز– لا يكتفي . رحمه الله . بنقل القراءات، ولكنه بناقش ما كان قابلاً للنقاش، كأن يختلف الصحابة أو التابعين في قراءة من القراءات، فينقل اختلافهم، ويرجّح ما يراه صحيحاً بالأدلة، ويَكْثُرُ هذا في كل معجمه. و قد يختار قراءة على قراءة؛ لكونها أسلم أو أصح أو أجود إعراباً، ومثال ذلك:

في مادة * نخر* عند قوله تعالى:(**أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَاخِرَةً**)[١٤٠]، قال المصنف:" وقرئ نخرة... وناخرة أجود الوجهين"[١٤١].

في مادة *جمل* عند قوله تعالى: (**كَأَنَّه جِمالاتٌ صُفْر**)[١٤٢]، قال الأزهري:" وروى عن عمر بن الخطاب أنه قرأ: (جِمالات). وهو أحب إليَّ.

ففي هذين المثالين فاضل الأزهري بين القراءتين وجعل أحداهما أفضل من الأخرى، إلا أن هذا التفاضل لم يكن على هوى متبع أو عن عدم دراية منه– رحمه الله– وإنما القياس عنده في تواترها وموافقتها لمصاحف الصحابة، أو مصاحف بعضهم، وفي جودتها من الناحية اللغوية والإعرابية.

ح– ومن منهجه في هذا أنه يبيّن، في بعض الأحيان، نوع القراءة، سواء أصحيحة كانت أو شاذة، ويبدي رأيه في بعض الأحيان عنها، من ذلك قوله:" وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ قول الله جلّ وعزّ (**وإنا لجميع حادرون**)[١٤٣]بالدال وقال مُؤدون بالكُرَاع والسِّلاح... والقراءة بالذال حاذِرون لا غير والدَّال شاذَّةٌ لا يجوز عندي القراءة بها[١٤٤].

---

[١٤٠] – سورة النازعات– الآية: ١١.

[١٤١] – ينظر – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج :٧ – ص :٣٤٥.

[١٤٢] – سورة المرسلات– الآية: ٣٣.

[١٤٣] سورة الشعراء– الآية:٥٦.

[١٤٤] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج :٤ – ص :٤٠٩.

وكذا عندما ذكر قوله تعالى: **(وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)**[١٤٥] قال الأزهري:" وهي قراءة جميع القراء، إلا ما روى عن ابن عامر فإنه قرأه بالغدوة، وهي شاذة"[١٤٦].

فبيّن – رحمه الله – أن القراءة بالدال المهملة، حادرون، شاذة ولا يجوز القراءة بها. وأن قراءة ابن عامر بالغدوة بضم الغين وتسكين الدال قراءة شاذة كذالك؛ فلا يكتفي بنقل القراءات، ولكنه بناقش ما كان قابلاً للنقاش، كأن يختلف الصحابة أو التابعين في قراءة من القراءات، فينقل اختلافهم، ويرجّح ما يراه صحيحاً بالأدلة، ويَكْثُرُ هذا في كل معجمه.

ط– أشير في الأخير إلى أن المصنف – رحمه الله– في استشهاده بالقراءات كان يزودنا بالمعلومات التالية:

أ) الآية الكريمة

ب) القراءة القرآنية أو القراءات.

ت) صاحب القراءة

ث) معنى القراءة

ج) القضايا اللغوية و النحوية والصرفية، عند الاقتضاء

---

[١٤٥] – سورة الأنعام الآية: ٥٢.

[١٤٦] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج :٨ ص :١٧٠.

المطلب الثاني:

منهجه في الاستشهاد بالقرآن وقراءاته وإيراد معانيها وذكر دلالاتها.

نماذج

في البداية أشير إلى أن المصنف- رحمه الله – التزم بتبيان دلالات معظم القراءات التي أوردها إلا نزرا قليلا مبثوثة هنا وهناك من معجمه، كما أنه لم يلتزم في شرحه للقراءات القرآنية وذكره دلالاتها ومعانيها نهجاً واحداً، فكان يوجز أحيانا، نحو قوله:" من قرأها **(شَعَفَهَا حُباً)** فمعناه تيمها ومن قرأها: **(شَغَفَهَا)** قال: أصاب شغافها[١٤٧].

وأحيانا يتوسط في شرحه مستوفياً المعنى دون إيجاز مخل، أو إسهاب ممل، من ذلك قوله:" الإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء، تقول: أجمعت الخروج وأجمعت على الخروج... ومن قرأ **(فاجمَعُوا كيدَكم)** فمعناه لا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به[١٤٨].

وأحياناً يسهب في شرحه، ويستطرد في ذلك إلى ذكر تفسير الآية، وسبب نزولها، وأحاديث السلف فيها. وذكر إعرابها ومستشهدا كذالك ببعض الأشعار أو الأحاديث النبوية الشريفة حتى لا يتسرب الملل إلى قارئه. من ذلك عند استشهاده بقوله تعالى:(**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ**)[١٤٩] فسّر هذه الآية بقوله:" أجمع المفسّرون على أنّ تأويل قوله (**ثم ليقطَعْ**) ثم ليختنق وهو محتاجٌ إلى شرحٍ يزيد في بيانه والمعنى والله أعلمُ من كان يظنُّ من الكفّار أنّ الله لا ينصُر محمداً حتّى يُظْهره على المِلل كلّها فليمُتْ غيظاً... والسَّبب الحبل يشدُّه المختنقُ إلى سَقْف بيته وسماءُ كلِّ شيءٍ سقفُه(**ثُمَّ لْيَقْطَعْ**) أي ليمدَّ الحبل مشدوداً على حَلْقه مدّاً شديداً يوتِّره حتَّى يقطع حياتَه ونَفْسَه خَنْقا"[١٥٠]ً

نلاحظ أن المصنف أورد تفسير هذه الآية وبين شرحها لأنها تحتاج إلى بعض الشرح كما بيّن آنفا.

ويمكن إجمال منهج استشهاده بالقراءات وذكر دلالاتها فيما يلي:

---

[١٤٧] – تهذيب اللغة-: الأزهري – ج :١ – ص :٤٣٨.

[١٤٨] – المصدر نفسه- ج :١ – ص :٣٩٧.

[١٤٩] – سورة الحج- الآية:١٥.

[١٥٠] – الأزهري – تهذيب اللغة- ج: ٣- ص:١٢٩.

أ – قد يسوق المصنف المعنى ثم يأتي بالآية ويذكر بعدها القراءة القرآنية شاهدا على ذلك المعنى أو غيره، وهذا المنهج هو الأكثر ورودا في استشهاداته القرآنية، والأمثلة على ذلك كثيرة:

من ذلك ما جاء في مادة (عز) قال الأزهري:" العزيز من صفات الله جلّ وعزّ وأسمائه الحسنى عز العزيز من صفات الله جلّ وعزّ وأسمائه الحسنى وقال أبو إسحاق بن السريّ العزيز في صفة الله تعالى الممتنع فلا يغلبه شيء وقال غيره هو القويّ الغالب على كلّ شيء وقيل هو الذي ليس كمثله شيء، وقال الله جل وعز: **(وعَزَّنِي فِي الخِطَاب)**[١٥١] معناه غلبني. وقرأ بعضهم **(وعازّني فِي الخِطَابِ)** أي غالبني[١٥٢].

فقد بدأ رحمه الله بذكر معنى عز في كلام العرب، حيث ذكر أن العزيز من أسماء الله تعالى واستشهد بالآية الكريمة على ذلك ثم أتى بالشاهد من القراءة القرآنية ليبين وجه الاختلاف في القراءتين بين عزّني وعازّني بألف و بدونها.

وكذلك قوله في مادة (طلع):" يقال طلعَت الشمسُ تطلُع طُلُوعاً ومَطْلعاً فهي طالِعَة وكذلك طلع الفجر والنجم والقمر والمطلِع الموضع الذي تطلع عليه الشمس وهو كقوله تعالى: **(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً)**[١٥٣].

وأمَّا قول الله جلّ وعزّ: **(سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)**[١٥٤] فإن الكسائي قرأها **(هي حتى مَطْلِعِ الفجر)**[١٥٥] بكسر اللام.

فبعدما بيّن بعضا من معاني كلمة طلع أتى بالشاهد من القرآن الكريم وبين اختلاف القراءة في لفظة مطلع بفتح اللام وكسرها.

ب – أحيانا يأتي بالشاهد من القرآن، ثم يذكر بعده القراءة القرآنية أو كل القراءات الواردة ثم يذكر المعنى: كقوله في مادة (شعف): " قال الله جلّ وعزّ: **(قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا**

---

[١٥١] – سورة ص الآية : ٢٣

[١٥٢] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج: ١ص:٨٢

[١٥٣] – سورة الكهف الآية: ٩٠.

[١٥٤] – سورة القدر الآية: ٥.

[١٥٥] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج: ٢ص: ١٦٨.

لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[١٥٦]. وقد قرئ الحرف بالعين والغين" ثم قال:" و من قرأها **(شَعَفَهَاَ حُباً)** فمعناه تيمها ومن قرأها: **(شَغَفَهَاَ)** قال: أصاب شغَافَها"[١٥٧].

وكما في قوله في مادة (عضد) :" وقال جل وعز: **(وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)**[١٥٨] وقرئ: **(وما كُنتَ)**، أي ما كنت يا محمد لتتخذ المضلِّين أنصارا، وعضُد الرجل أنصارُه وأعوانه والاعتضاد التقوِّي والاستعانة[١٥٩].

كذلك قوله في مادة(صعر): " قال الله جلّ وعزّ: **(ولا تصعّر خدّك للناس)**[١٦٠] وقرئ: **(ولا تصاعر)**.ومعناها: الإعراض من الكبر

وعلى ذلك المنهج قوله في مادة(ظعن) قال الله عزَّ وجلَّ: **(يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ)١٦١**وقرئ: **(يوم ظعنكم)**. والظَعْن: سير البادية لنُجْعة أو حضور ماء أو طلب مَرْتَع أو تحّول من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد. وقد ظعنوا يظعنون[١٦٢].

كما في قوله في باب (بعد) : " وقول الله جلّ وعزّ مخبراً عن قوم سبأ: **(فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)**[١٦٣]، قال الفرّاء: قراءة العوّام: باعِدْ. ويقرأ على الخبر: ربُّنا بَاعَدَ وبَعَّدَ. وبَعَّدْ جَزْمٌ. وقرئ **(ربَّنا بَعُد بين أسفارنا وبين أسفارن)**. قال الزجّاج: من قرأ باعِدْ وبَعِّدْ فمعناهما واحد. وهو على جهة المسألة. ويكون المعنى: أنهم سئموا الراحة وبطروا النعمة، وقرأ يعقوب الحضرمي: ربُّنا باعدَ بالنصب على الخبر. وقرأ نافع وعاصم والكسائي وحمزة. باعد بالألف على الدعاء"[١٦٤].

في هذه الأمثلة السابقة نلاحظ أن المصنف- رحمه الله- بدأ بذكر الآية الكريمة وأتبعها بالقراءات الواردة فيه، ليقوم وفي الأخير بشرح كل قراءة من القراءات المختلفة ويبيّن دلالاتها.

---

[١٥٦] – سورة يوسف – الآية ٣٠.

[١٥٧] – تهذيب اللغة-: الأزهري – ج: ١ ص: ٤٣٨.

[١٥٨] – سورة الكهف – الآية: ٥١.

[١٥٩] – تهذيب اللغة-: الأزهري – ج: ١ ص:٤٥١.

[١٦٠] – سورة لقمان – الآية :١٨

[١٦١] – سورة النحل – الآية : ٨٠.

[١٦٢] – تهذيب اللغة-: الأزهري – ج: ٢ – ص:٣٠٠.

[١٦٣] – سورة سبأ – الآية : ١٩..

[١٦٤] – تهذيب اللغة-: الأزهري – ج: ٢ – ص:٢٤٦.

ج – وقد يأتي بالآية ويتبعها بمعنى جديد لم يسبق ذكره من قبل ثم يذكر القراءة القرآنية: وذلك مثل قوله في مادة (عقب):" وقال الله جلّ وعزّ:

(وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ)[١٦٥] هكذا قرأها مسروق وفسرها: فغنِمتُم، وقرأها حُميد: **(فعقَّبتم)** وهو بمعنى عاقبتم"[١٦٦].

ومثل قوله في مادة *جمع*: " قوله جل وعز: **(فأجمِعوا كيدَكم ثم ائتوا صَفاً)** الإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء؛ تقول: أجمعت الخروج وأجمعت على الخروج. قال ومن قرآ: **(فاجمَعُوا كيدَكم)** فمعناه لا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به"[١٦٧].

كذلك قوله في مادة *بدع*:" وقول الله جلّ وعزّ: **(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)**١٦٨ أي خالقهما. وبديع من أسماء الله وهو البديع الأوَّل قبل كل شئ ويجوز أن يكون من بَدَع الخَلْق أي بدأه، ويجوز أن يكون بمعنى مُبْدع...وقرئ **(بديعَ السموات والأرض)** بالنصب على وجه التعجب لما قال المشركون، على معنى بدْعاً ما قلتم وبديعاً اخترقتم، فنصبه على التعجب[١٦٩].

ومن ذلك في مادة * ينع* بعدما ذكر قوله تعالى: **(انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)**[١٧٠]، قال الأزهري:" الينع: النُضْج. يقال يَنَع الشجر يَيْنَع يَنْعا، وقرئ:**(ويانعه)**"[١٧١].

ففي هذه الأمثلة بدأ– رحمه الله– بآية كريمة ثم ذكر بعدها معنى جديدا لم يشر إليه من قبل ليذكر بعد ذلك القراءات القرآنية الموجودة في الآية السابقة.

د– قد يسوق الشاهد من القراءات القرآنية للتدليل على صحة ما ذهب إليه من إيراد معنى لغوي

هـ– قد يعلق على الشاهد من القراءات القرآنية صرفيا أو نحويا، من ذلك في مادة*عاش* **(وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ)**[١٧٢] يقول المصنف:" فيحتمل أن يكون:ما يعيشون به

---

[١٦٥] – سورة الممتحنة– الآية: ١١

[١٦٦] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج:١ ص: ٢٧٥

[١٦٧] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج: ١– ص: ٣٩٧.

[١٦٨] – سورة البقرة– الآية: ١١٧

[١٦٩] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج: ٢– ص: ٢٤٢/٢٤١.

[١٧٠] – سورة الأنعام– الآية: ٩٩.

[١٧١] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج: ٣– ص: ٢٢١.

[١٧٢] – سورة الأعراف– الآية: ١٠

ويمكن أن يكون الوُصْلة إلى ما يعيشون به، قال ذلك أبو إسحاق، قال: وأكثر القراء على ترك الهمز في معايش،إلا ما رُوى عن نافع أنه همزها، والنحويّون على أن همزها خطأ، وذكروا أن الهمزة إنما تكون في هذه الياء، إذا كانت زائدة، نحو صحيفة وصحائف، فأمّا معايش فمن العيش، الياء أصلية"[١٧٣].

بعد إيراده قراءةَ نافع- رحمه الله- وهي همز معايش، علّق المصنف عليها بذكر قول النحويين أن همزها خطأ؛ لأن الهمزة إذا كانت زائدة فجمع كلمتها تكون همزة كذلك، والملاحظ أن نافع من القراء السبعة، ومن ذكاء المصنف أنه نسب هذا التعليق للنحويين.

وفي مادة *طاع* بعد ذكره الآية:(**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ)** [١٧٤] وبعدما ذكر قراءة حمزة الزيّات **(اسْطَّاعوا)** بإدغام الطاء والجمع بين ساكنين، قال الأزهري:" من قرأ بهذه القراءة فهو لاحِنٌ مخطئ زعم ذلك الخليل يونس وسيبويه وجميع مَن يقول بقولهم وحجَّتهم في ذلك أن السين ساكنة وإذا أدغمت التاء في الطاء صارت طاء ساكنة ولا يجمع بين ساكنين"[١٧٥].

و- قد يجئ بالشاهد للاستشهاد على أمر نحوي ومن الأمثلة على ذلك:

- قرئ (**فيسبوا الله عَدُوًّاً**) بفتح العين وهو هاهنا في معنى جماعة كأنه قال فيسبوا الله أعداء و (عَدُوّاً) منصوب على الحال في هذا القول[١٧٦].

- قرئ قوله تعالى:(**قُلْ هي للَّذين آمنوا في الحيَاةِ الدُّنيا خَالِصَةً يَوْم القيَامةِ)**[١٧٧] خالصة بالضم والفتح، وأمَّا إعرابُ (خالِصَةٌ) فهو على أنه خبر بعد خبر كما تقول زَيْدٌ عَاقل لبيب المعنى قُلْ هِيَ ثابتةٌ للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يوم القيامة ومن قرأ (**خَالِصَةً)** نصبه على الحال على أنَّ العاملَ في قوله **(فِي الحَيَوةِ الدُّنْيَا)** في تأويل الحال كأنك قلتَ قل هي ثابتةٌ للمؤمنين مستقرةً في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة[١٧٨].

---

[١٧٣] - تهذيب اللغة-: الأزهري -ج: ٣ - ص: ٦٠.

[١٧٤] - سورة الكهف- الآية: ٩٧.

[١٧٥] - تهذيب اللغة-: الأزهري - ج: ٣ - ص: ١٠٩.

[١٧٦] - تهذيب اللغة-: الأزهري - ج: ٣ - ص: ١٠٥.

[١٧٧] - سورة الأعراف- الآية: ٣٢.

[١٧٨] - تهذيب اللغة-: الأزهري - ج: ٧ - ص: ١٣٧.

– في قوله تعالى(**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزَر**)[١٧٩] قال الأزهري :" يُقرأ بالنصب **(آزَرَ)**، ويقرأ بالضم **(آزَرُ)**، فمن نصب فموضع آزرَ خفض بدلاً من **(أبيه)** ومن قرأ **(آزَرُ)** بالضم فهو على النِّداء[١٨٠].

ز– قد يجئ بالشاهد للاستشهاد على قضية صرفية ومن الأمثلة على ذلك:

– في قوله تعالى:(**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ**)[١٨١] قال الأزهري:" ورُوى عن الحسن أنه قرأ (**يَخِطِّفُ**) بكسر الخاء، وتشديد الطاء مع الكسر.وقال بعضهم: (**يَخَطِّفُ**) بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها. فمن قرأ: (**يَخَطِّفُ**) فالأصل يَخْتَطِفُ، فأُدْغِمَت التاءُ في الطاء، وأُلْقيتْ فَتْحَةُ التاء على الخاء. ومن قرأ (**يَخِطِّفُ**) كَسَر الخاء لسكونها وسُكون الطّاء، وهذا قول البَصْريين[١٨٢].

– في قوله عز وجل: (**أن تَعْدلوا وإن تَلْوُوا**)[١٨٣] قال الأزهري:"وإن(**تَلْووا**) بواوين، من لوى الحاكم بقضيته، إذا دافع بها، وأما قراءة من قرأ (**وإن تلوا**)بواو واحدة، ففيه وجهان: أحدهما: أن أصله "تلووا" بواوين، فأبدل من الواو المضمومة همزة، فصارت تلْؤا بإسكان اللام، ثم طُرحت الهمزة وطرحت حركتها على اللام، فصارت: تلُو، كما قيل في أَدؤُر: أَدْؤر، ثم طرحت الهمزة، فقيل أدُر، والوجه الثاني أن يكون (تلوا) من الولاية لا من (الليّ) والمعنى أن تلوا الشهادة فتُقيموها وهذا كله صحيح في قول البصريين[١٨٤].

ح– وقد يستشهد بالقراءة القرآنية على معنى مجازي على سبيل الاتساع كما فعل في مادة *حرق* عند قوله تعالى: (**ثم لنُحَرِّقَنَّه**)[١٨٥] حيث ذكر أنه تقرأ كذلك لنَحْرُقَنه بالضم، فالقراءة الأولى معناها لنحرقنه مرة بعد مرة، وأما القراءة الثانية فتأويلها لنبردنه بالمبرد[١٨٦].

ط– في بعض الأحيان يأتي بالقراءة القرآنية دليلا على معنى فقهي، ونلمس ذلك في قضية غسل الرجلين في الوضوء، وذلك في قوله تعالى**:** **(وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)**[١٨٧]. ، فبعدما ذكر القراءتين– في أرجلكم

---

[١٧٩] – سورة الأنعام– الآية: ٧٤.

[١٨٠] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج: ١٣ – ص: ٢٤٨.

[١٨١] – سورة البقرة– الآية: ٢٠.

[١٨٢] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج: ٧ – ص: ٢٤١.

[١٨٣] – سورة النساء– الآية: ١٣٥.

[١٨٤] – تهذيب اللغة–: الأزهري – ج: ١٥ – ص: ٤٦٢.

[١٨٥] – سورة طه الآية ٩٨.

[١٨٦] – ينظر: تهذيب اللغة–: الأزهري – ج: ٤ – ص: ٤٤.

[١٨٧] – سورة المائدة– الآية: ٦

بالخفض والنصب- وشرحهما، انتصر لقضية الغسل وبيّن أن المسْح على هذه القراءة كالغسْل، ومما يدلّ على أنه غَسْل أن المسْح على الرِّجل لو كان مَسْحاً كمسْح الرأس لم يَجز تحديده إلى الكعبين١٨٨.

وهذه المسألة الفقهية مبسوطة في كتب الفقه والتفسير وعلوم القرآن[١٨٩]

ك- قد يورد المعنى التفسيري للشاهد من القراءات القرآنية، كما فعل في مادة *عصر*عند قوله تعالى: **(فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)**١٩٠، قبل ذكره القراءات قال:" قال أكثر المفسرين: أي يعصرون الأعناب والزيت"١٩١، وفي مادة*دك* عند قوله تعلى:" قوله: **(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً)**[١٩٢].ذكر أن المفسرين أن معنى دكّاء ساخ في الأرض فهو يذهب حتى الآن[١٩٣].

من المثالين يتضح أن المصنف استعان بالمفسرين و بكتبهم في بعض ما ذهب إليه في شرح القراءات القرآنية وهذا يدل على مدى ارتباط المعنى المعجمي للقراءة بالمعنى التفسيري لها.

وهكذا فلم يخلُ شاهد من القراءات القرآنية أورده المصنف- رحمه الله- من فائدة لغوية أو نحوية أو فقهية أو تفسيرية وغير ذلك، فتارة نجده اللغوي المحنك وتارة الفقيه الملهم وحينا المفسر العظيم، وهذا يدل على مثانة علم هذا الرجل وثبات قدمه ورسوخها في هذه المجالات.

خاتمة

---

[١٨٨] - ينظر: ا تهذيب اللغة-: الأزهري - ج: ١ - ص: ٣٢٤ و ج:٤ - ص: ٣٥١.

[١٨٩] - ينظر على سبيل المثال: جامع البيان في تأويل القرآن- محمد بن جرير الطبري- ج : ١٠ - ص: ٥٦.
و المسح في وضوء الرسول (صلى الله عليه وآله) دراسات مقارنة بين المذاهب الإسلامية -محمد الحسن الآمدي- دار المصطفى (صلى الله عليه وآله) لأحياء التراث - ط:١ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م- ص: ٥٧.

١٩٠ - سورة يوسف- الآية: ٤٩.

[١٩١] - تهذيب اللغة-: الأزهري - ج: ٢ - ص: ١٤.

[١٩٢] - سورة الكهف- الآية: ٩٨.

[١٩٣] - تهذيب اللغة-: الأزهري - ج: ٥ - ص: ٥٨.

نتائج البحث: توصلت بتوفيق الله إلى نتائج أجملتها في ما يلي:

أولا: إنَّ موضوع القراءات القرآنية من الموضوعات المهمة في الدرس اللغوي العربي، لأنَّ دراسة هذا الموضوع يكشف الكثير من القضايا اللغوية المهمة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) يبرز الكثير من الخصائص اللهجية التي اتسمت بها بعض القبائل العربية، ولهذا تعد مادة القراءات القرآنية وما يتعلق بها رافداً مهماً للدرس اللغوي والأدبي العربي لا يمكن تجاهله أو التقصير فيه.

ثانيا: اتضح من عرض بعض الاختلاف بين القراءات القرآنية أنّ لها أثرا في تعدد المعاني واتساعها و أنّه مقصد من مقاصد هذا الاختلاف ، ولأنّ القراءتين في الموضع الواحد بمثابة الآيتين ، يجب الإيمان بها كلها وإتباع ما تضمنته من المعاني علماً وعملاً.

ثالثا: اعتمد الكثير من المؤلفين القدامى على تحليلهم لمادتهم على القرآن الكريم وقراءاته، كالمعاجم وكتب النحو والبلاغة وغيرهما.

رابعا: للقراءات الشاذة دور في الدراسات اللغوية لأنها تزيد من المعاني الجليلة والدلالات التي لا توجد في القراءة المتواترة.

خامسا: اعتمد الأزهري في استشهاداته على القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذة لأنه كان يهتم بإدراج المعاني اللغوية التي تستقى من هذه القراءات.

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
١- الأحرف السبعة للقراءات - أبو عمر الداني - تحقيق : عبد المهيمن طحان- المملكة العربية السعودية-جدة- دار المنارة للنشر والتوزيع- ط:١- ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢- إحياء علو الدين- أبو حامد الغزالي- لبنان - بيروت- دار الفكر- ط:١- ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٣- أضواء البيان - محمد الأمين بن المختار الشنقيطي- بيروت- لبنان- دار الفكر للطباعة والنشر- ط:١- ١٤١٥هـ /١٩٩٥م.
٤-الأمالي في لغة العرب- أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي- لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية- ط:١- ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.
٥- الإيمان الأوسط (شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان)- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - الجزائر- الشركة الجزائرية اللبنانية- ط:١- ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٦- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث- الحافظ ابن كثير- شرح وتعليق: أحمد محمد شاكر- لبنان - بيروت- دار الكتاب العربي - د.ط- د.ت.
٧- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - عبد الفتاح القاضي- - المملكة العربية السعودية- الرياض- مكتبة أنس بن مالك- ط١- ١٤٢٣هـ/.٢٠٠٢
٨- بلوغ المرام من أدلة الأحكام - العسقلاني- تحقيق: محمد رضوان محمد- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- د.ط- د ت.
٩- التبيان في علوم القرآن- محمد علي الصابوني-لبنان- بيروت- دار عالم الكتب- ط:١ - ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
١٠- تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الزبيدي- الكويت- التراث العربي-د.ط- ١٣٨٥هـ/١٩٦٤م. وطبعة:- لبنان - بيروت- دار صادر- ط:١- ١٣٠٦هـ١٨٨٥م -
١١- تاريخ آداب اللغة العربية- جرجي زيدان - مصر- القاهرة- مؤسسة دار الهلال-ط:١ -د.ت.
١٢- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي-جلال الدين السيوطي- تحقيق وتعليق: أحمد عمر هاشم- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- د. ط- ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
١٣- التعريفات- الجرجاني -تحقيق : إبراهيم الأبياري - لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:١ - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
١٤-تفسير التحرير والتنوير- الطاهر بن عاشور - تونس - الدرة التونسية للنشر -ط:١ - ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
١٥- تفسير الجلالين- السيوطي - مصر- القاهرة- دار الحديث- ط:١ - د.ت.
١٦- تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- تحقيق: حسان الجبالي- المملكة العربية السعودية- الرياض- بيت الأفكار الدولية - ط:١-١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
١٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- أبو عمر يوسف ابن عبد البر- تحقيق محمد الفلاح - ط:١ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٨- تهذيب اللغة- - الأزهري- - تحقيق: د. أحمد عبد الرحمن مخيمر- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط:١- ١٤٢٥هـ /٢٠٠٥م.
١٩ - التوقيف على مهمات التعاريف محمد عبد الرؤوف المناوي - - تحقيق : محمد رضوان الداية - لبنان- بيروت- دار الفكر المعاصر- ط:١- ٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٢٠- جامع البيان في تأويل القرآن- محمد بن جرير الطبري- تحقيق: أحمد محمد شاكر- لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة- ط:١- ٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م
٢١- الجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله محمد القرطبي- لبنان - بيروت - دار إحياء التراث العربي- ط:١- ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
٢٢- جمهرة الأمثال- أبو هلال العسكري- لبنان - بيروت- دار الفكر - ط:١- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢٣- جمهرة اللغة - ابن دريد - تحقيق : رمزي منير بعلبكي- لبنان - بيروت - دار العلم للملايين- ط:١
٢٤- الخصائص- أبو الفتح عثمان ابن جني- تحقيق محمد علي النجار- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ط٣- ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
٢٥ - الديوان- جميل بن عبد الله بن معمر- لبنان- بيروت- دار صادر- د.ط- د.ت.
٢٦ - زاد المعاد في هدي خير العباد- ابن القيم الجوزية- تحقيق : محمد حامد الفقي- بيروت - لبنان- دار الكتاب العربي-د.ط- ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م.
٢٧- شرح ديوان المتنبي- عبد الرحمن البرقوقي- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:٢- ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م-.
٢٨- شرح طيبة النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - ضبط وتعليق : أنس مهرة - لبنان - بيروت- دار الكتب العلمية- ط:٢- ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.- ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧م.
٢٩- شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع - عبد الرحمن السيوطي -تحقيق:. محمد إبراهيم الحفناوي- مصر- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - ط:١ - ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٣٠ - شرح النووي على صحيح مسلم- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي -لبنان - بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط:٢- ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م.
٣١- الشعر والشعراء- ابن قتيبة الدينوري- تحقيق : أحمد محمد شاكر- مصر - القاهرة - دار المعارف- ط:٢- ١٣٧٧ هـ/ ١٩٨٨م-.
٣٢- صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق : مصطفى ديب البغا- لبنان - بيروت - دار ابن كثير- ط:٣- ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

٣٣- صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج النيسابوري- لبنان - بيروت – دار الكتب العلمية- د.ط: د.ت.

٣٤- الصناعتين-أبو هلال العسكري –تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم- لبنان - بيروت- المكتبة العصرية - ط:١- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٥- العقد الفريد- ابن عبد ربه الأندلسي- تحقيق : مفيد محمد قميحة- لبنان - بيروت – دار الكتب العلمية- ط:١- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م٢٠٤

٣٦- .العين-الخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي- لبنان - بيروت – مؤسسة الإعلامي للمطبوعات - ط: ١-١٤٠٨هـ/١٩٨٨م -

٣٧- فتح الباري - أحمد أبو الفضل ابن حجر العسقلاني- تحقيق: محب الدين الخطيب - لبنان - بيروت – دار المعرفة- د. ط- د ت.

٣٨- فقه السنة – سيد سابق- لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والشر والتوزيع – ط:١- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٩- أحكام تشريعات الحدود - محمد سامي النبراوي - مصر - القاهرة- دار غريب للطباعة- ط:١ - ١٩٧٦م.

٤٠- القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- - لبنان - بيروت – مؤسسة الرسالة– د.ط- د.ت

٤١- القراءات القرآنية- نشأتها- أقسامها- حجيتها-خير الدين سيب- - الجزائر- دار الخلدونية للنشر والتوزيع- ط:١- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥ م.

٤٢- القول السديد في مقدمات علم القراءات وفن التجويد- أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحسيان- مصر- القاهرة- دار البيان العربي- ط:١-١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٣- القياس في اللغة العربية محمد لخضر حسين- - الجزائر– المؤسسة الوطنية للكتاب- ط:١- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٤- كتاب الحيوان- الجاحظ –تحقيق: عبد السلام محمد هارون- مصر - مكتبة ومطبعة مصطفى اليابي الحلبي وأولاده- ط:٢- ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

٤٥-كتاب الفقه على المذاهب الأربعة– عبد الرحمن الجزيري- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية – ط:٢ - ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٤٦- لسان العرب - ابن المنظور - لبنان - بيروت – دار إحياء التراث العربي– ط:١- ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

٤٧- لطائف الإشارات لفنون القراءات- شهاب الدين القسطلاني- تحقيق: عامر السيد - مصر- القاهرة - لجنة إحياء التراث - د .ط- ١٣٩٢هـ/١٩٧١م.

٤٨- لهجات العرب في القرآن الكريم - عبد الله عبد الناصر جبري- - لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط:١- ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٤٩- مباحث في علوم القرآن والحديث-.عبد المحمود مطلوب —مصر- القاهرة- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- ط:١- ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٥٠- المحتسب - ابن جني- تحقيق: علي النجدي ناصف و. عبد الحليم النجار و. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- مصر- القاهرة- مطابع الأهرام- ط:١- ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٥١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - ابن القيم الجوزية —تحقيق : محمد حامد الفقي - دار الكتاب العربي - بيروت- لبنان - د.ط-د.ت-.

٥٢- مجمع الأمثال- أبو الفضل بن محمد الميداني- تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد- لبنان - بيروت — دار المعرفة- د.ط- د.ت.

٥٣- مجموعة الفتاوى الكبرى- ابن تيمية- مع: عبد الرحمن بن قاسم- سوريا- مطبعة الرسالة-ط١- ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.

٥٤- مختار الصحاح- محمد الرازي- لبنان - بيروت- دائرة المعارف في مكتبة لبنان- د.ط- ١٩٨٥م.

٥٥- مختصر العلامة خليل- خليل بن إسحاق المالكي- تصحيح وتعليق: أحمد نصر- الجزائر - دار الشهاب- د.ط- د.ت.

٥٦- المسح في وضوء الرسول (صلى الله عليه وآله) دراسات مقارنة بين المذاهب الإسلامية -محمد الحسن الآمدي- دار المصطفى (صلى الله عليه وآله) لأحياء التراث - ط:١ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥٧- المصنف في الأحاديث والآثار- ابن أبي شيبة الكوفي- تعليق: سعيد اللحام- لبنان - بيروت- دار الفكر - د.ط- د.ت.

٥٨- المعجم الصوفي، دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي-محمود عبد الرزاق —المملكة العربية السعودية- جدة- دار ماجد عسيري- ط: ١- ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

٥٩- معجم الكلمات الصوفية- أحمد النقشبندي الخالدي- تحقيق: أديب نصر الدين— لبنان- بيروت- مؤسسة الانتشار العربي- ط:١-١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٦٠- معجم لغة الفقهاء- محمد دواسَ قْلعَرْجي. وحامد صادق قَنبيجي- لبنان- بيروت- دار النفائس— ط:١- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٦١- معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس- تحقيق و ضبط: عبد السَّلام محمد هَارُون — لبنان- بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ط: ١ — ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م -

٦٢- المقدمة- ابن خلدون- لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ط:١- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٦٣- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- أبو عمر عثمان بن الصلاح –تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي- لبنان – بيروت- المكتبة العصرية – ط:١- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٦٤- مناهل العرفان في علوم القرآن- محمد عبد العظيم الزر قاني- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:١- ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٦٥- منجد المقرئين ومرشد الطالبين – ابن الجزري- – لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية– د.ط- د.ت-

٦٦- مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري – محمد شعبان صلاح- مصر- القاهرة – دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر- ط:١ ١٤٢٥هت/٢٠٠٥م.

٦٧- النشر في القراءات العشر- ابن الجزري- لبنان- بيروت– دار الكتب العلمية– د.ط- د.ت.

٦٨- الوجيز في علوم الحديث ونصوصه- محمد عجل – الجزائر- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- د.ط – ١٩٨٩م.